روايات مصرية للجيب

سلة الروايات

1

Looloo
www.dvd4arab.com

البرنامج الخاص

تجربة مخيفة

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت ٢٨٣٦٠٠٠ فاكس : ٢٨٣٦٠٠٠

مقدمـــة

يقـال : إن الكمبيوتـر هـو لغـة العصـر ، حيـث يستعملـه اليوم مئات الملايين فى الاتصـال ، والقيـام بالأعمال المختلفـة ـ تحدثك آلاف الكتب عن فوائد الكمبيوتـر .. واستخدام الكمبيوتـر .. والاتصـال عبـر الكمبيوتـر .. أما أنـا فأرجوك ـ لاتجلـس أمـام الكمبيوتـر ـ لاتحملق كثيـرًا فـى شاشتـه السوداء ـ ولاتمد يدك لتلمس لوحـة المفـاتيح .. وإلا فيمكن أن يكون الجهاز حاملاً لنفس البرنـامج .. وأن يفعل بك مـا فعلـه بـى .. شـىء مخيـف .. مخيف !!

ولكنى .. مع ذلك .. لا أشتكى قدرى .. فالرضا بالمقسوم عبادة .. والحمد لله على كل حال ..

صديقك

أيمن فاروق

★ ★ ★

١ ـ المـأزق ..

كنت جالسًا كالعادة على إفريز النافذة .. فقد كان الجو صحوًا وإن كـانت سرعة الريـاح قويـة .. ولكنـى ارتديت سترة ثقيلـة وغطاء رأس لحمايتى مـن البرد .. لـم يكن هنـاك أحد غيرى بالمنزل .. كان يوم عطلة الخدم .. وقد ذهبت مسـز (تيـالدى) تزور زوجها فى المستشفى ..

توقفت سيارة بيضاء جديدة أمام باب الفيلا .. بحيث لاتسمح بـأى شك فى أن ركابها يقصدون الفيلا بالذات .. ونزل منها رجلان ..

كان هذان الرجلان قد أتيا من قبل مرتين أو ثلاثًا .. وسـلمت عليهما أم (لويجى) كأنها تعرفهما .. ولكـن (تيـالدى) ليس موجودًا فى البيت .. وهما لم يكونا يأتيان سوى لـ (تيالدى) .. فما الذى أتى بهما إلى البيت الآن ؟

كان كل من الرجلين عريض المنكبين .. وكانا يلبسان حلتيـن فخمتين صنعتا من القطيفة ، بحيث تفصح عن قوة جسديهما .. وأحسب أن الانتفاخ فى منطقة حـزام البطن لديهمـا لـم يكن إلا مسدسين .. كانا يمشيان كالإنسان الآلى من فرط تكتل عضلاتهمـا عند منطقة الأكتاف وبروز صدريهما ..

وقد كان انطباعى الأول عند رؤيتهما هو حرس أو (بودى جاردز) ، فلم يكن من الممكن أن يخطئ المرء فيظنهما اثنين من رجال الأعمال مولعين بالرياضة مثلاً .. أو اثنين من أرباب المعاشات .. فحتى ثيابهما صممت لكى تضخم من حجميهما .. وكأنها جزء من أدوات الردع والتخويف الخاصة بهما ..

وأسرعت جريًا أحضر المنظار المقرب .. ونظرت إلى رقم السيارة وأسرعت أجرى إلى أقرب تليفون بالمنزل ..

اتصلت برقم الطوارئ (911) .. وأخبرت من ردّ علىّ بالآتى :

ـ أنا (لويجى بييرو) .. وعمرى ثمان سنوات .. وعنوانى كذا .. وأنا وحدى فى البيت .. توقفت سيارة بيضاء برقم كذا أمام المنزل .. ونزل منها شخصان لا أعرفهما وهما يقتحمان المنزل .. أحسب أنهما سيختطفانى طلبًا للفدية .. ويضعانى فى السيارة .. أو سيقتلوننى ويضعون جثتى فى السيارة .. هذه ليست هلوسة .. أسرعوا فأنا أسمع أصوات حركة الرجلين فى المنزل ، وهما يفتشان عنى .. وقد أوشكا على الوصول إلىّ ..

وبالفعل كنت أحس بأصوات أقدام الرجلين تصعد إلى مكانى فى أعلى البيت .. لم يكن هناك وقت لأجرى نحو النافذة .. تركت السماعة مفتوحة وأنا أسمع الصوت على الجانب الآخر يطلب منى إعادة ما قلت ..

وأسرعت أختبئ تحت المنضدة التى يوجد عليها التليفون ..

كان أحدهما ينظر ويفحص الإفريز من النافذة المفتوحة .. وصاح :

ليس هنا .. إنه ليس هنا .. ثم أغلق النافذة ..

أصبحت محبوسًا فى الداخل ..

كان الدم المندفع من مضخة قلبى يضرب سقفًا فى رأسى .. إن بحثهما مكثف وسيعثران علىّ .. ترى هل تأخذ الشرطة مثل هذا البلاغ مأخذ الجد .. أم يعتقدون أنها مزحة ويتناسون الأمر ؟

كان الرجلان كما يبدو ـ خبيرين فى البحث ـ ولم يكن أى منهما مخمورًا كـ (تيبالدى) .. وسرعان ما اكتشفا مخبئى .. وحملنى أحدهما على ذراعه وقد كمم فمى بيده .. أسرع الرجلان ينزلان إلى أسفل الفيلا إلى حيث توجد سيارتهما البيضاء .. وألقانى من يحملنى فى حقيبة السيارة ، وأغلقها علىّ .. وما هى إلا دقائق حتى انطلقت السيارة بنا ..

ومن بعيد سمعت صوت سرينة سيارة الشرطة .. لقد أتوا لإنقاذى .. ولكن السيارة التى كنا نركبها كانت تتحرك بسرعة كبيرة جدًا .. وكان صوت السرينة يخفت فى الخلفية ، بينما تنطلق السيارة بما يعنى أن السيارة تبتعد عن مكان سيارة الشرطة .. سيهربان بى ..

وسرعان ما أحسست بالسيارة التى أركبها تدور حول منعطف .. ثم انطلقت بسرعة على طريق مستقيم .. لقد خرجوا إلى الطريق السريع ..

انطلقت السيارة لفترة .. لاحظت أن السيارة قد بدأت تسرع بشكل كبير ، وتدور فى منعطفات شتى .. لقد تركنا الطريق السريع .. ودخلنا إلى شوارع جانبية ..

وفجأة بدأت السيارة تهدئ من سرعتها وتتوقف .. أحسب أننا قد وصلنا إلى المكان الذى سيقتلوننى فيه ، أو إلى المكان الذى سيحبسوننى فيه تمهيدًا لقتلى ..

ومضى وقت طويل .. حوالى ثلث ساعة .. كنت أجد صعوبة شديدة فى التنفس .. وكانت صعوبة التنفس تزداد مع كل ثانية تمر .. أحسب أن حقيبة السيارة هذه محكمة الغلق .. وأن الأكسجين ينفد .. كانت صعوبة التنفس هى جزء من حياة (لويجى) .. ولكن الأمر كان أبشع من أى شىء سبق .. كان المحيط الضيق يطبق على أنفاسى فيكتمها ..

لو تركونى هنا لمدة ربع ساعة أخرى فسأموت اختناقًا .. لن يحتاجوا إلى قتلى .. فحسبهم تركى لأموت من تلقاء نفسى .. كان السواد يزحف على عينى ..

وببطء .. كانت حقيبة السيارة تُفتح .. ورأيت أجمل منظر رأيته فى حياتى .. رجل أسود يعتمر خوذة أحد دوريات

الشرطة الراكبة .. وقد كُتب عليها حروف (NYPD) (قسم شرطة نيويورك) .. كان دخول الأكسجين إلى رأسى فجأة يشعرنى بالدوار الشديد .. ورفعت يدى لمسافة صغيرة ..

ثم هوت يدى وأنا أقول بغير صوت : استدعوا الإسعاف .. أنا أموت .

★ ★ ★

٢ ـ بداية القصة ..

استيقظت من النوم فى الساعة التاسعة صباحًا على صوت باب الشقة ينصفق .. لقد خرج أبى وأمى من البيت ..

وقفت أمام النافذة المفتوحة أحملق فى الفضاء .. كنت أفكر فى مشكلة عويصة حقًا .. هل أحلق ذقنى النابتة .. أم أتركها ؟ أو بمعنى آخر .. هل أذهب اليوم إلى مقابلة شخصية أخرى أم أبقى فى البيت استمتع بوحدتى .. وأقرأ الكتاب الجديد الذى اشتريته من بائعى الكتب القديمة بالأمس ؟

كنت وحدى فى البيت .. فقد خرج أبى وأمى كلّ إلى عمله .. أما أختى (بسمة) فقد تزوجت من ستة أشهر وتركت البيت .. وتركتنى فيه وحيدًا ..

تسألوننى .. لماذا لم أذهب إلى عملى .. لأننى بلا عمل طبعًا .. يا لكم من أذكياء .. والقصة كالآتى :

ـ تخرجت فى كلية التجارة منذ عدة أعوام .. كنت أدرس اللغة الإنجليزية فى أثناء دراستى بالكلية .. وكنت أطمح إلى العمل فى بنك .. وبالطبع لم أستطع أن أجد عملاً فى بنك .. فلا يكفى أن تكون متفوقًا فى دراستك وتعرف الإنجليزية لتحصل

على عمل فى بنك .. بل ينبغى قبل كل شىء أن تكون لديك وساطة قوية ..

ولما لم تكن لدى وساطة .. فقد اختبرت الأعمال الأولى كأى شاب مصرى .. الدوران على الشركات فى محاولة لبيع الموسوعات لمدة ستة أشهر ..

كان لهذا العمل جانب إيجابى عظيم .. فقد قرأت وحفظت معظم المعلومات المهمة الخاصة بالموسوعات التى أسندت إلىّ مهمة بيعها .. لكنى حين قمت فى النهاية بحساب الأرباح والخسائر .. اضطررت إلى ترك العمل .. لسبب تافه جدًا .. فقد أدركت أن تركى العمل سيوفر علىّ أكثر من ألفين من الجنيهات سأضطر إلى اقتراضها من والدى فى العام التالى ..

وبعدها عملت فى مكتب محاسبة صغير جدًا .. كنت فيه مساعد المدير بمرتب هزيل جدًا .. وخطر لى بعد فترة فجأة أن فرص الترقى فى هذا العمل معدومة .. فقد كان رئيسى المباشر هو المدير وصاحب العمل .. وكان يدير مكتبه بأسلوب غريب جدًا ..

لم أتصوّر قط أننا سنكسب مالاً بهذا الأسلوب .. تعلمت من هذا المكتب شيئًا مفيدًا .. ما هى الأخطاء التى لا يجب عليك ارتكابها فى أثناء إدارتك لعملك ؟ وكانت بالضبط .. كل شىء يفعله المدير ..

بعدها عملت فى مكتب لإصلاح الأجهزة الكهربائية .. كنت بارعًا فى هذا العمل منذ صغرى .. بل كنت أتمتع بموهبة خاصة فى هذا العمل ..

فإذا كان لديك شىء آلى أو شبه آلى لايعمل .. فـ (أيمن فاروق) يمكنه أن يصلحه لك .. ولكن الأجر الذى كنت أحصل عليه من الورشة كان صغيرًا جدًا .. وكنت أستمتع بالعمل إلى حد يشغلنى عن أى شىء آخر .. كما أن مستقبل هذا العمل لن يجعلنى فى يوم من الأيام محافظ (البنك المركزى) كما كنت قد خططت لمستقبلى ..

قدمت الـ (C.V)(*) : (تاريخ السيرة الذاتية) الخاص بى للعديد من مكاتب المحاسبة الكبيرة .. وقبلت فى النهاية إحدى هذه الشركات توظيفى ..

وبعدها عملت لمدة أربع سنوات فى مجال المحاسبة فى هذه الشركة ..

كان الأجر صغيرًا وهزيلاً .. ولكنى كنت أتبرع بالقيام بجميع المهام الصعبة من أجل اكتساب الخبرة .. وفى النهاية أصبحت واحدًا من أبرع المحاسبين فى الشركة باعتراف الجميع .. وكم سافرت إلى أماكن بعيدة .. وقضيت الليالى والأيام ساهرًا أجرد

(*) معنى الـ (C.V) : السيرة الذاتية .

المعهد والمخازن .. وأعد النقدية بالخزائن .. وأرافق خبراء التثمين .. وأجادل مأمورى الضرائب .. وأعد الميزانيات وحسابات الأرباح والخسائر .. وأسهم فى تصفية المديونيات .. إلخ .

كانت الوظائف فى هذه الشركة تتدرج من محاسب شاب إلى رئيس فريق محاسبين .. وإذا وصل رئيس فريق المحاسبين إلى درجة مهارة معينة .. يُعرض عليه أصحاب المكتب ـ طبقًا لرأيهم ـ أن يكون شريكًا بالمكتب (شركة توصية ـ أى أنه شريك فى الأرباح ، ولا علاقة له برأس المال أو أصول الشركة) .. وهذه قمة ما بعدها قمة ..

عُرض على رئيس فريق المحاسبين الذى أتبعه أن يكون شريكًا بالمكتب .. وكنت أنا المرشح التالى مباشرة لأكون رئيس فريق المحاسبين ، وأحل محله فى الوظيفة التى أصبحت شاغرة بترقيته ..

أتت اللحظة التى عملت من أجلها طويلاً .. لا تخطئوا فهمى .. لم يكن هذا المنصب يعنى حجرة خاصة بى ، أو جهاز كمبيوتر خاص بى .. ولا زيادة كبيرة فى المرتب .. ولكنها خطوة نحو حال أفضل .. نحو تحقيق شىء أفضل .. تربيت على الكتف يقول لك : أحسنت .. شىء يدلك على أنك تسير فى الطريق الصحيح .. أحسب أن معظم الناس لن يفهموا هذا ..

أكرّر : كنت المرشح الوحيد كى أصبح رئيس الفريق .. ولكن كان هناك شىء لم ألتفت إليه ..

كان ابن الشريك المالك للمكتب قد بدأ العمل معنا منذ ثلاثة أشهر ..

وكان شابًا مائعًا .. يحضر إلى العمل بعد أذان صلاة الظهر .. وينصرف بعدها بساعات قبل ميعاد الانصراف الرسمى .. هذا غير فترات الراحة الطويلة التى يغادر فيها المكتب فى وسط النهار .. ثم لا يعود ..

لم يكن لهذا الفتى عمل حقيقى .. ولم يكن يجرى ترتيب أى مواعيد بحيث تعتمد على وجوده أو عمله .. أعنى أنه لم يكن بالفعل يعمل بالمكتب ..

كان مجرّد زائر يأتى لساعة أو ساعتين .. ثم ينصرف .. لم يعمل هذا الصبى من قبل ، ونحن نعمل بعمل أساسه الخبرة ..

وكان صبيًا كثير الحركة ضعيف التركيز .. تم تكليفه بعمل أساسه التركيز .. بالإضافة إلى أنه لم يكن يحمل شهادة جامعية .. بل ولم يحصل حتى على الثانوية العامة .. حسب ما سمعت ..

★ ★ ★

٣ ـ بقية القصة الحزينة ..

وفى الصباح الذى كنت أنتظر فيه الترقية حدث شىء لابد أنكم تتوقعونه الآن .. لقد تم عقد اجتماع .. وأُعلن فى هذا الاجتماع أن الصبى المائع ابن مالك المكتب .. سيكون الرئيس الجديد لمجموعتنا من المحاسبين ..

نزل علىّ الخبر المشئوم نزول الصاعقة .. لم أكن أتوقعه .. لقد بذلت مجهودًا خاصًا اليوم فى التأنق . كانت الحُلة التى أرتديها جديدة .. والعطر كذلك كان من زجاجة اشتريتها بالأمس .. وأتيت فى تاكسى .. وليس فى ميكروباس .. كما اعتدت من قبل .. أجل .. أنا العريس اليوم .. إنه يوم ترقيتى .. والآن .. هذا ..

لم أقم لأسلّم على رئيس مجموعتنا الجديد كما فعل الآخرون .. بل تركت الشركة وخرجت من المبنى .. كنت أحتاج إلى الهواء النقى ، وإلى بعض الوقت لأفلسف ما حدث وأتقبله .. وفى أثناء خروجى سمعت عبارات وأنا سائر بجوار الآخرين عبارات مثل : (صاحب المال) .. (وهل سيفضل أحدًا على ابنه ؟) .. (يترقى الآن ويتعلم فى يوم من الأيام) .. (سيبقى بقية عمره فى مجال العمل هذا وسيعلمونه طبعًا) ..

هذا ليس عدلاً .. ليس عدلاً .. أنا عملت وسافرت وأخلصت واجتهدت وتعلمت .. وتحملت المرتب الصغير طمعًا فى الأفضل وحتى أتعلم .. ونتيجة لعلمى أصبحت مستحقًا للمنصب .. وأخيرًا حصل عليه ابن بابا ..

المشكلة أن هذا الموقف تكرّر من قبل .. لم يكن هذا هو أول شىء يأخذه منى أولاد بابا .. الأولاد المدللين .. أولاد الأثرياء والمسئولين الكبار ..

أيام الكلية .. كنت أمارس رياضة التجديف .. وقد بلغت من المهارة حدًا جعلنى ألعب فردى .. أى أتسابق فى مركب فردى أركبه وأجدف فيه وحدى .. لم يكن هذا سهلاً ..

ففى هذه الرياضة ، يحتاج الأمر إلى خبرة كبيرة بتيارات المياه .. ومهارة لكى يستطيع المرء أن يكون متسابقًا فى قارب فردى ..

وأعددت استراتيجية تدريب .. ست ساعات يوميًا منهم أربع ساعات تجديف .. ثلاث مرات لعب تمرين أثقال فى الأسبوع ..

وسرعان ما بدأت الفترة الزمنية التى أقطع فيها المسافات المحددة تقل وتقل .. كنت أحمل ساعة ميقاتى ، وأضبطها على الوقت الذى حققته فى اليوم السابق .. وأبذل جهدًا خارقًا ؛ حتى أصل إلى النهاية قبل أن تدق الساعة ..

وضعت على دولابى فى البيت لافتة كبيرة مكتوب عليها : (أيمن فاروق) بطل العالم فى التجديف على القارب الفردى .

كم قضيت الأسابيع أتدرب لأنقص رقمى دقيقة أو بضع ثوان .. هل تتخيلون مدى الجهد والإحباط عندما لا تكفى كل قوتك لإنقاص رقمك ثانية .. وكنت قد وضعت نظرى على هدف قريب .. بطولة (مصر) للجامعات .. ومن بعدها بطولة (إفريقيا) للجامعات .. ثم الذهاب للدورة الأوليمبية لتحقيق الميدالية الذهبية ..

لم تكن هناك تسهيلات كافية ، ولا موارد مالية كافية ، ولا أجهزة مناسبة .. كانت القوارب التى يوفرونها لى مصنوعة من الخشب الثقيل ، بمواصفات انتهى استعمالها منذ ربع قرن .. بينما أصبحت القوارب الخفيفة والمصنوعة من الإكريليك هى الأساس فى هذه الرياضة .. ولكنى واظبت .. وكان شعارى هو المثل الإنجليزى (طالما توجد إرادة .. توجد وسيلة) ..

وفى اليوم المحدّد لبطولة الجامعات حصلت على الكأس .. وكنت متيقنًا وبلا أدنى شك أننى صاحب أفضل رقم فى (مصر) فى التجديف الفردى ..

ولكن الأرقام كما يعرف الحكماء .. ليست هى الشىء الذى يحدّد من الذى يسافر للمنافسة خارج (مصر) ..

لقد سافر أحد أقرباء كبار المسئولين .. ومع أرقامه الهزيلة ، كان من المعروف مسبقًا أنه لا أمل حتى فى الاقتراب من أى مركز متقدم فى أى مسابقة دولية ..

وردّد من تعرفون كلامًا محفوظًا عن التمثيل المشرف والمشاركة مع الأشقاء .. والتعارف بين الشباب .. ذهب المحروس ليتنزه فى الخارج تحت مُسمى تمثيل (مصر) .. وبقيت أنا أعض أصابع الندم على سذاجتى وحمقى وتغفيلى .. لقد افترضت أن العدالة هى النظام السائد فى العالم .. ولكن الناس عادة يرددون فى هذه المناسبات اسم نوع من الخضراوات لا أحبه ولا أستسيغه ..

فلنقل إنى خاسر سيىء .. ولكنى لسبب ما لم أحتمل أن أعود إلى عملى بمكتب المحاسبين والمراجعين .. ولكنى جررت نفسى جرًا وأنا أقول لنفسى :

ـ مستقبلك يا (أيمن) .. إنك لن تستطيع بعد كل هذا الوقت أن تبدأ من جديد فى البحث عن عمل) .. وعبارات مثل : (الإنسان خدام أكل عيشه) ، و (الشخص الناضج يجب أن يصبر) ، و (جمز بالجميز لما يجيلك التين) ، و (من حكم فى ماله ما ظلم) .. إلخ .

عدت من جولتى للتفكير خارج المبنى بعد حوالى الساعة لأجد رئيس الفريق الجديد يحتفل جالسًا على سيارته خارج المبنى ومعه أربعة من أصدقائه كل منهم فى حجم الباب .. وما إن رآنى حتى نادانى بأسلوب سخيف ويخلو من الاحترام إن لم يحمل معنى الإهانة .. وحين دنوت منه صرخ بى :

ـ كيف تجرؤ على ترك الشركة دون أن تستأذننى .. ألم تعرف بعد أننى قد أصبحت رئيسك المباشر ؟

كان من الصعب جدًا أن يحترم أحدهم هذا الصبى العابث .. وكان من الأصعب بمراحل أن أحترمه أنا .. وقد أخبرته بذلك بمنتهى التهذيب ، فقد قلت له :

ـ الرئيس المباشر يجب أن يكون أكثر التزامًا ، وأكثر خبرة ، وأكثر علمًا بالعمل من مرءوسيه .. أما زلت تصر على أنك رئيسى المباشر ؟

ولم يرد الفتى بلسانه بل جذبنى بعنف من ياقة حلتى الجديدة ويكاد أن يمزقها :

ـ ماذا تعنى أيها الإمعة ؟

قلت له ، وأنا أنزع يده من على ياقة حُلتى :

ـ المعنى واضح ..

كان الأصدقاء الأربعة للفتى فى حجم ثيران الروديو .. وسرعان ما دفعنى أحدهم فى جنبى ..

★ ★ ★

٤ ـ ما بعد المشاجرة ..

كنت قوى البنية ، وقد لعبت الكاراتيه والجودو لفترة قصيرة فى صباى .. ولكنى بالطبع لم أمارس الرياضة منذ أربع سنوات ، منذ بدأت فى العمل فى هذه الشركة ، حيث إن العمل كان يستهلك كل وقتى .. وخصومى لا يستهان بهم .. ولو من ناحية الحجم على الأقل ..

دفعت الفتى الذى دفعنى .. فلم يعجبنى اغترارهم بكثرتهم واستعمال ذلك فى الاعتداء علىّ .. وتكاثر علىّ الخمسة ، وكان بعضهم يحمل مُدى .. ولكن الكثرة لم تغلب الشجاعة .. فسرعان ما انطلق المحاسبون فى الشركة يحولون بيننا ..

انتهى الأمر فى مخفر الشرطة .. كان ذراعى غارقًا فى الدماء .. ولم أكن قد خمنت أى من الجروح فى ذراعى أو كتفى هو مصدر هذه الدماء الغزيرة .. كما انفجر حاجبى بسبب لكمة طائشة قوية .. مما أغرق وجهى كذلك فى الدماء .. واستدعى بعد ذلك عدة غرز فى المستشفى ..

أما الأسوأ من وجهة نظرى .. فكانت الْحُلة الجديدة التى اشتريتها بمرتب شهرين .. كانت قد أصبحت أسمالاً بالية وممزقة ..

أما بالنسبة للخمسة .. فقد كانوا منهكين تمامًا إلى حد أن اثنين منهم جلسا على الأرض لعدم استطاعتهما الوقوف .. أحسب أنهم قد اعتادوا ضرب الآخرين بسهولة ..

أما أنا فقد أتعبهم ضربى .. كذلك فقد أحدهم ضرسين من جانب فمه .. وتقيأ رئيس المجموعة الجديد على حلته الجديدة .. أحسب أن هذا سبب اصطدام معدته بركبتى .. كانت معدته فى المكان المناسب فى الوقت غير المناسب .. ماذا كان يمكننى أن أفعل ؟ أغير مكان معدته ..

النتيجة .. محضر فى مخفر الشرطة .. خناقة بين بعض الشباب وانفضت .. وتم الإفراج عنى بعد أن ضمننى أبى .. وأتى مدير الشركة وضمن الفتى وأصدقاءه ، وأخرجهم من المخفر ..

بعد يوم واحد وصلنى بالبريد السريع شيك مزخرف بمبلغ مرتبى عن الفترة التى قضيتها من الشهر ، ومكافأتى عن السنوات الأربع الماضية .. وشهادة خبرة تسجل امتيازى فى العمل ، وحسن سلوكى فى أثناء عملى .. وملف الأوراق والتأمينات .. أما الشىء الذى لم يرسلوه ، ولكنه كان واضحًا .. فقد كان بالطبع طلب بألا أذهب إلى مقر الشركة مرة أخرى ..

نعم .. بمعنى .. نحن راضون تمامًا عن أدائك ونرجوك ألا تحضر من الغد .. أو بالأحرى « المعلم مبسوط منك قوى ى وبيقولك متجيش من بكره » ..

وبهذا ذهبت طموحاتى العملية فى شركة المحاسبين والمراجعين أدراج الرياح ..

لم أكن قد حصلت على إجازة لمدة أربعة أعوام .. حتى فى العطلات .. حتى فى الأعياد كنت أعمل .. وأتأخر فى العودة من العمل .. لم تعد لى حياة اجتماعية .. لم أر أصدقائى منذ أربع سنوات .. نعم بقيت أقرأ ، لأن القراءة تجرى فى جسدى مجرى الدم .. ولكنى لم أعد أقرأ بفن .. لم تعد لدىَ استراتيجية معينة للقراءة .. ولم أعد أعدّ قوائم الكتب التى أحب قراءتها كما كنت أفعل قبل التحاقى بمكتب المحاسبين والمراجعين ..

فى الماضى وأيام الدراسة والجامعة . كان لابد لى من أن أقرأ لمدة ثلاث ساعات فى اليوم على الأقل .. وكنت أحدّد قوائم بالكتب التى أعتزم قراءتها .. وأحدّد الأوقات التى سأقرؤها فيها .. ومتى سأنتهى منها ، وكم قضيت الليالى فى غرفتى مساءً فى الشتاء ، وعلى سطح العمارة مساءً فى الصيف ، أقرأ وأقلب عشرات الصفحات .. أصدقائى يقولون إننى دودة كتب .. ولكن الحقيقة أننى فضولى إلى حد فظيع ، فإذا قص علىَ أحدهم قصة مثلاً ، فإننى أستمر فى سؤاله : كيف ولماذا وأين وإلى أى مدى حتى يرهقه سؤالى .. أنا فضولى .. والكتب تجيب عن بعض أسئلتى ..

لمدة ثلاثة أشهر لم أعد أبحث عن عمل .. عدت لممارسة الرياضة ، التى كنت قد تركتها بعد فترة وجيزة من ممارستى للعمل فى مكتب المحاسبين والمراجعين .. واكتشفت أن جسدى قد تغير .. أصبحت قصير النفس ثقيل الجسم .. وعزمت على تغيير هذا ..

أما بالنسبة للقراءة فقد اتجهت إلى دراسة الكمبيوتر والرياضيات .. واستغللت مدخراتى التى تكاد تكون معدومة ، على الرغم من كثرة عملى ، فى البدء فى دراسة برمجة الكمبيوتر .. كنت قد تعلمت أشياءً عن برامج المحاسبين وإعداد قوائم الحسابات على الكمبيوتر .. إلخ .

ولكنى كنت أريد أن أدرس أساسيات الكمبيوتر والبرمجة ..

لم يكن انقطاعى عن العمل لهذه الفترة بسبب إحساسى بالمرارة من الحياة .. كلا لا تفهمونى خطأ .. أنا لست من النوع الضعيف ، الذى يحمل ضغينة ضد الحياة ويقول : الحياة ليست عادلة .. الناس سيئون .. وما جدوى المحاولة ؟

كلا .. أنا رجل مسلم .. أصلى وأصوم وأقرأ القرآن الكريم وأعلم جيدًا أن الماضى والحاضر والمستقبل بيد اللّه (عزّ وجلّ) ، وليس له أى صلة بتصرفات البشر .. وأحفظ حديث رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلم) : « احرص على ما ينفعك واستعن

باللّه ولا تعجز ، وإذا حزبك أمر فلا تقل : لو كان كذا لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قدّر اللّه وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان » .

كانت فترة الثلاثة أشهر التى قضيتها فى البيت فترة لالتقاط الأنفاس ، وتحديد توجهاتى المستقبلية فى الحياة كما أراها لنفسى ..

ولكن ما كان يتعبنى أننى أستيقظ فى الصباح بذهن فارغ تمامًا .. لا شىء .. لا مكان أذهب إليه ..

يومها استيقظت كما أخبرتكم .. وفجأة دقّ جرس الباب .. تُرى من يكون .. كان البواب قد أحضر الجريدة بالفعل .. ولم أكن أنتظر أى شخص ..

فتحت الباب .. وإذا بى بشخص لم أكد أعرفه .. (محمود ثابت) .. زميل الدراسة .. وانطلقت أحتضنه .. كيف حالك يا (محمود) ؟ خطوة عزيزة .. عاش من شافك .. أين كنت وأين أصبحت ؟

وكل ما حصلت عليه من هذا كان نظرة (محمود) الخاوية ويده الممتدة تصافحنى فى برودة الثلج .. والأسوأ أنه بدا وكأنه لا يشعر البتة بما يجرى حوله .. بل بدا .. وأكاد أقسم على ذلك .. شارد الذهن ..

كان (محمود ثابت) شخصًا عزيزًا علىّ .. لكن زيارته لى كانت غريبة جدًا .. لم أكن فى يوم من الأيام من الأصدقاء المقربين لـ (محمود) .. كنا مجرّد معارف .. صحيح أننى كنت أعجب به .. ولكن (محمود) كان شابًا فى حاله ، يتحرك وسط مجموعة صغيرة من الأصدقاء ، ولا يشجع الاختلاط به كثيرًا خارج مجموعة أصدقائه .. وقد تخرجنا فى الكلية منذ سنين .. خمس أو ست سنين .. ومن وقتها لم أر (محمود) ، ولم أسمع أى أخبار عنه سوى أنه قد سافر إلى (أمريكا) ..

كان (محمود) قد تغير كثيرًا .. كان وقت الكلية شابًا ممتلئ الجسم ضحوكًا مرحًا ..

ولكن الرجل الذى كان يقف أمامى الآن .. كان قد وخط الشيب شعر رأسه .. وكان نحيلاً .. معروق اليدين .. نافر عروق الرقبة .. عصبى الحركة .. أين ابتسامة (محمود) الخجولة التلقائية .. وتفاؤله بشأن المستقبل ؟

كنت أحسد (محمود) وغيره ممن سافروا إلى (أمريكا) أو (أوربا) .. لقد اختصروا الطريق الطويل المهلك ، الذى لابد على كل شاب فى (مصر) أن يقطعه .. وكنت أحدث نفسى أنه مع شاب له مهارات (محمود) .. فلا بد أن صديقى قد أصبح الآن مليونيرًا على الأقل ..

ولكن ما رأيته أمامى لم يكن يدعو للحسد على الإطلاق ..

كان (محمود) هيكلاً بشريًا تدمّر محتواه .. كان أصفر اللون زائغ النظرات .. واستمر فى تمشيط السلم من خلفه بعينيه ، وكأنه يخاف وحشًا سينقضّ عليه فجأة من أسفل السلم .. وكان يبدو ـ وأكاد أقسم على ذلك ـ وكأنه يرتجف ..

★ ★ ★

٥ ـ ووصل الكمبيوتر إلى يدى ..

كانت درجة الحرارة ٣٨ فى الظل .. لا أظن أن أحدًا يمكنه أن يرتجف فى هذا الجو إلا إذا كان محمومًا .. كان (محمود) يبدو فعلاً وكأنه محموم ..

جال كل هذا بخاطرى وأنا أقف أنظر إلى (محمود) عندما فتحت الباب .. كان يحمل صندوقين كبيرين .. ولم ينتظر حتى آذن له بالدخول .. بل دفعنى .. أعنى دفعنى إلى الداخل من مدخل باب بيتى بلا أى كياسة ..

ودخل وأغلق خلفنا الباب ..

دخل (محمود) وجلس على الأريكة .. وحاول أن يبتسم .. أحسب أنه حاول أن يبدو طبيعيًا ، كرد فعل لنظرة الذعر التى رآها فى عينى .. وأنا أتأمل بفضول الحطام البشرى الذى أمامى .. كانت أول محاولة لابتسام لم ينجح ..

وحاولت أنا أن أبدو طبيعيًا .. وأتغلب على فضولى القاتل .. وأن أكسر حاجز الصمت الذى ساد ، فقلت :

كيف حالك يا (محمود) ؟ سمعت أنك قد سافرت إلى (أمريكا) .. كيف حال (أمريكا) معك ؟ أخبرنى بكل شىء .

خرجت من المطبخ لأجد (محمود) يخرج كمبيوتر كاملاً من الصندوقين .. أعنى شاشة عرض ، ووحدة تحكم مركزى ..

وهزّ (محمود) رأسه ثم نظر إلى الأرض وأمعن النظر .. ربما كان يرى شيئًا لا أراه على الأرض .. ولم يتكلم ..

وقلت وأنا أواصل الابتسام .. لا أدرى لماذا : لقد كنت أعد شايًا للإفطار .. ستفطر معى .. وأسرعت أدخل المطبخ وأضع إبريق الشاى على النار ..

خرجت من المطبخ لأجد (محمود) يخرج كمبيوتر كاملاً من الصندوقين .. أعنى شاشة عرض ، ووحدة تحكم مركزى ، وماوس ، ولوحة مفاتيح ، وطابعة صغيرة ..

وقفت أنظر إلى (محمود) وهو يقوم بتوصيل تركيبات الكمبيوتر .. واستدار لى (محمود) ونطق أول كلمات قالها منذ لحظة رؤيتى له :

أنت لا تعرف أى شىء عن الكمبيوتر .. أليس كذلك ؟

وفكّرت .. عندما تمعن التفكير فى الأمر .. تجد أن ما قاله (محمود) هو الحقيقة .. أنا لا أعرف الكثير عن الكمبيوتر بالفعل ..

وهززت رأسى بمعنى الإيجاب ..

وردّ (محمود) :

عظيم .. لقد كنت أفكر .. مَنْ مِنْ أصدقائى ليس لديه جهاز كمبيوتر .. وحين تذكرتك .. قررت أنك ستسعد إذا ما أودعت

لديك هذا الكمبيوتر وديعة .. واستطرد : ويمكنك أن تستعمله كيفما تشاء طوال مدة إيداعه عندك ..

كانت هذه بالطبع فرصة عظيمة بالنسبة لى .. (محمود) سيودع عندى الكمبيوتر الخاص به .. ولكن لماذا ؟ لماذا لا يودعه لدى أى من إخوته ؟

وسألته :

ـ ومتى ستعود لتسترده ؟

ورد (محمود) وهو يهزّ يديه بعنف غير مبرّر :

ـ ليس الآن .. ليس الآن .. ليس قبل عام أو عامين على الأقل .. سأسافر إلى (أمريكا) خلال أيام .. وأريد أن أودعه لديك كأمانة .. هل توافق ؟

وأجبته :

ـ بالطبع .. لك ما تشاء .. وأنا أشكرك جدًا على أنك فكّرت فىّ ..

على الرغم من أنى فضولى .. فقد كان منظر (محمود) يردع المرء عن أن يسأله العديد من الأسئلة التى تجول بخاطرى : لماذ لم يترك الكمبيوتر فى بيته مثلاً حتى يستطيع إخوته استعماله ؟

وسمعت الإبريق يحدث صوتًا فى المطبخ .. كان (محمود) يبدو أكثر استرخاء ، وكأنه أزاح عن كاهله عبئًا كان يثقل صدره ..

شرب (محمود) نصف كوب الشاى .. أحسب أنه لم يشعر بأنه يشربه .. ومدّ يده يسلم علىّ مودعًا ..

وقلت له :

ـ ولكننا لم نتحدّث بعد .. أريد أن أعرف الكثير عن أخبارك ..

ورد (محمود) :

ـ فى الواقع أنا فعلاً متعجل .. وليس لدى وقت .. ولكن هناك أمرًا مهمًا يجب أن تفهمه جيدًا .. أنت لم ترنى .. وهذا الكمبيوتر لم يكن فى يوم من الأيام ملكى .. وهو ليس أمانة عندك .. وعندما ترى أى شخص ويسألك عنى أخبره أنك لم ترنى منذ تركنا الكلية .. كذلك لا تحاول أبدًا الاتصال بى أو بأسرتى .. هل فهمت يا (أيمن) ؟

وسألته متحيرًا :

ـ ولكن لماذا ؟ إن هذا الكمبيوتر ملك لك ..

وقال (محمود) بتشنج :

ـ نعم .. إن الكمبيوتر ملكى .. اشتريته بمالى .. ولا أستطيع أن أخبرك عن سبب طلبى الغريب لك ، ولكن يجب أن تعرف أنه طلب تتوقف عليه أشياء كثيرة .. عِدنى ..

وبكلمات متلعثمة وعدت (محمود) بما أراد .. وأسرع هو بالخروج ..

فتح الكمبيوتر الجديد لى آفاقًا جديدة تمامًا .. فقد التحقت بدورتى كمبيوتر أصبحت بعدهما قادرًا على العمل على برامج معالجة البيانات .. وحصلت على دورة صيانة .. وسرعان ما أصبحت أقدم خدمات لمعارفى وأصدقائى منها على سبيل المثال ..

نسخ الرسائل العلمية لمعارفى .. إعداد الميزانيات وحسابات الأرباح والخسائر ، وتقارير الضرائب للأعمال التجارية الصغيرة الناشئة لأصحابى ومعارفى وأصدقائهم .. وقد تعاملت مع مكتب محام ناشئ .. كنت أقوم بأعمال الضرائب تحت اسم مكتبه .. بالإضافة إلى ذلك تذكرنى من كنت أصلح لهم الأجهزة الكهربية والإلكترونية المعطلة من جيرانى فى المنطقة ومعارفى ..

المهم كان الكمبيوتر الجديد فاتحة خير علىّ .. لم أعد أحس بالفراغ .. فأنا مشغول فى عمل ما أو أستكشف الكمبيوتر ..

وفى أحد الأيام انتبهت لشىء مهم .. الكمبيوتر الذى تركه لدى (محمود) سعته كبيرة جدًا .. وهناك شىء ما يحتل معظم هذه السعة .. وحين أخذت أبحث فى جميع الملفات .. وجدت أن هناك شيئًا اسمه (الكنز) .. أحسب أنها لعبة ما .. ولكن يبدو وكأن معظم ملفاتها خفية ..

المهم .. أصبح شغلى الشاغل فى أوقات فراغى هو البحث عن الكنز .. وفى يوم ضغطت مرتين على ملف اسمه (Treasure. Exe) فى قائمة الملفات .. وفوجئت بالشاشة تتغير فتصبح ثلاثية الأبعاد بالألوان الزاهية .. ونظرت ، فإذا شكل إنسان آلى يسألنى :

ـ هل تريد أن تدخل برنامج الكنز ؟ وظهرت على الشاشة كلمتان : نعم ، ولا .. وبالطبع وضعت المؤشر على علامة نعم .. ما الذى يمكن أن يحدث مثلاً .. إنه مجرّد جهاز إلكترونى .. أليس كذلك ؟

كنت أشعر بالسعادة لنجاحى فى العثور على الكنز .. ودخولى إلى البرنامج الذى حيرنى طويلاً .. وإرضاء فضولى .. هل ترون كم أنا سعيد .. وكم أن الأمر بسيط ؟! إياكم والفضول .. فإنه لا يقتل القطط فقط .. بل الناس أيضًا ..

بدا لى على الشاشة خريطة العالم .. وبمجرّد أن ضغطت على جزء منها بالفأرة اختفت ، وحل محلها جداول ملينة بالأرقام .. وبدا أنه كلما ضغطت بالفأرة على جزء من الجداول اختفت ليحل محلها جداول أخرى ..

وفى النهاية .. وبعد كل هذا الجهد .. ظهر فيلم ثلاثى الأبعاد للرسوم المتحركة .. كان هذا من أجل برنامج للرسوم المتحركة ..

على العموم كان برنامج الرسوم المتحركة هذا مميزًا ، فالألوان واضحة ساطعة .. والشخصيات تبدو كما لو كانت حقيقية .. ليس بوضوح فيلم السينما .. ولكن بشكل مختلف ..

كان المنظر لفصل به تلاميذ ، وقد عمّته الفوضى .. وكان من الواضح أنه به مشاجرة بين مجموعتين من التلاميذ ..

تحركت يدى تمسك بالفأرة ، ولكن يبدو أن البرنامج لا يستجيب .. دققت بأصابعى على أزرار لوحة المفاتيح .. ولكن يبدو أن البرنامج لا يستجيب لها كذلك .. إذن فكيف يعمل هذا البرنامج ؟ لعله يعرض فيلمًا فقط .. ولا يسمح بتعديل مواصفات الفيلم أو الاقتطاع منه ..

لقد تعبت كثيرًا حتى دخلت على البرنامج .. فلأستمتع به قليلاً ..

كان الفيلم كما ذكرت سابقًا يتناول سلوك مجموعة من الأطفال فى فصل خرج منه المدرس .. وركزت الشاشة على طفل بعينه .. كان أبيض .. نحيف القامة .. ويبدو عليه الشحوب الشديد .. وحتى من الرسوم المتحركة .. كان لون شفتيه يكاد يكون أزرق ..

كان الصبى قصيرًا .. وكان كل الأطفال فى الفصل أكبر منه حجمًا .. كان الفيلم سيىء الإخراج .. وخيل إلىَّ أنه واقعى أكثر من اللازم .. فلم تكن فوضى المشاجرة بها مرتبة ومركزة كما

فى الأفلام .. بل كانت منتشرة وعامة .. وسرعان ما احتدم الصراع .. لم يكن الصبى يحاول أن يتشاجر .. بل كان يتقافز كالأرنب محاولاً تفادى الضربات .. وألقى الصبى بنفسه على الأرض ، وأسرع يختبئ تحت أحد مكاتب الدراسة ..

وفجأة لاحت للصبى فرجة من بين الصفوف تؤدى إلى الباب ..

أسرع الصبى الصغير يجرى نحو الباب من خلال تلك البقعة الخالية من المتشاجرين .. ولكن قدم أحدهم أصابته .. سقط الصبى على ظهره .. واصطدمت مؤخرة رأسه بحافة أحد مكاتب الدراسة .. وسقط جسد الصبى على الأرض ليرتطم بها بعنف .. واختلج جسده للحظة .. ثم همدت حركته ..

لم أكن فى هذه اللحظة أجلس أمام الكمبيوتر .. بل كنت فى جسد الصبى أصارع الموت .. كنت أحس بلغط الصبيان من حولى .. والدم الساخن يغطى الأرض الباردة تحت رأسى وجسدى .. وقدم أحدهم وهى تدوس ساقى .. كنت فى ظلمة يقطعها ضوء خفيف من وقت لآخر .. ثم همد جسدى .. ولم أدر بشىء ..

★ ★ ★

٦ ـ ودخلت جسد الصبى ..

كنت أحلم بكوابيس .. الظلمة تنقشع .. ويظهر منها قدم تلبس حذاءً رياضيًا .. تصطدم برأسى بقوة محدثة صوتًا مدويًا كفرقعة المدافع .. أحاول أن أصرخ .. أن أمد يدى لأمنع الحذاء الرياضى من الاصطدام برأسى ..

ولكنى لا أستطيع تحريك يدى .. لا أستطيع الصراخ .. حلقى يمتلئ بالدماء .. ولا أستطيع ..

استيقظت .. لم أكن أستطيع تحريك يدى أو ساقى .. بل ولا فتح عينىَّ .. ولكنى كنت أحس ضجة حولى .. يداى تؤلمانى .. ورأسى يؤلمنى ..

أخيرًا .. وبعد لأى .. استطعت فتح عينى .. لم يكن الكمبيوتر موجودًا أمامى .. بل لم أكن فى غرفتى .. وجولت بعينى فى المكان .. وحركت رأسى قليلاً .. وأحسست بالألم الشديد ..

لقد كنت بالتأكيد فى مستشفى .. السرير الأبيض .. والمحاليل المعلقة على حامل إلى جوارى .. والنايلون فوق رأسى .. المتصل بأنابيب فى الجدار .. لقد كنت داخل خيمة أكسجين ..

ما الذى أتى بى إلى هنا ؟! آخر ما أتذكره أننى كنت أجلس أمام الكمبيوتر أشاهد فيلم الكرتون .. وما الذى فعل بى ؟ من أين يأتى هذا الألم الشديد الذى أجده فى ذراعى ؟

ونظرت .. عدة إبر متصلة بالأنابيب المتصلة بالمحاليل تمتد داخل ذراعى .. وقفزت من مكانى مما جعل الإبر تخرج من يدى مما جعلنى أنفخ من كثرة الألم .. ولكن كان هناك ما هو أكثر من الألم .. هذه ليست يدى .. بالتأكيد ليست يدى .. إنها تؤلمنى .. ولكنها ليست يدى .. إنها صغيرة جدًا .. وكأنها يد .. طفل صغير ..

ونفضت الأغطية وكل جزء من جسمى يؤلمنى .. لأنظر إلى ساقى .. كانت ساقى قد انكمشت حتى أصبحت فى حجم ساق طفل صغير .. وتنتهى بقدم صغيرة بيضاء .. وكأنها قدم دمية .. وحركت يدى أمسك القدم وصرخت .. لقد أحسست بملمس أصابعى على القدم ، وبأننى أمسك القدم مع أنها ليست قدمى ..

ونظرت إلى جسدى .. لقد انكمش حجمى فأصبحت طفلاً صغيرًا .. وصرخت .. كنت مذعورًا ..

وسرعان ما دخلت الغرفة امرأة تلبس زى الممرضات .. كانت أجنبية .. ليست مصرية .. وقالت وهى تصدر أصواتًا استنكارية بفمها .. تؤ تؤ تؤ .. انظر ماذا فعلت ؟ لقد خلعت جميع الإبر من ذراعك .. وجرحت نفسك ..

ونظرت لها وصرخت .. وقالت المرأة تهدئنى : أعرف أنك خائف لأن أمك ليست معك .. سنرسل لها فورًا لتأتيك .. اهدأ يا بنى فما تفعله خطر عليك ..

أمى .. أمى .. كانت المرأة تتحدث الإنجليزية .. أين أنا .. أين أنا ؟

وقلت للمرأة بالعربية : أين أنا ؟ أين أنا ؟ من أنت ؟ من أنت ؟ وتوقفت ، وبدأت أصرخ .. وأصرخ .. وأصرخ .. حتى صراخى كان صوته غريبًا فى مسمعى .. كان الصراخ كأنه صراخ طفل صغير ..

وسرعان ما كانت الممرضة تمسك بى .. وأسرعت ترفع السماعة .. وتحدث أحدهم ..

وسرعان ما جاء طبيب .. ومد يده يتحسس رأسى ، ثم أصدر أوامر سريعة متعجلة للممرضة .. وأسرعت الأخيرة تغرس حقنة فى ذراعى .. وهى تقول : اهدأ اهدأ .. ستأتيك ماما حالاً .. ثم لم أدر بشىء ..

★ ★ ★

اطمئن يا (أيمن) .. إنه كابوس وقد أفقت منه .. كانت أمى تجلس إلى جوارى تهدئنى .. أردت أن أمسك بيدها .. ولكنها كانت بعيدة عن متناول يدى .. وأخذت تبعد وتبعد .. وتبعد .. تعالى يا أمى .. تعالى .. ولكن شيئًا ما سقط فوقى .. (غوريلا) ظهرت من لا مكان .. كانت تصفعنى وتصفعنى .. وتصفعنى ..

وانتفضت مستيقظًا .. كان هناك طبيب يضرب وجهى بيده محاولاً إيقاظى .. ها قد استيقظت فكف أيها الأحمق ..

كانت تجلس إلى جوارى امرأة شابة .. جميلة .. سوداء الشعر .. رشيقة القوام .. وقد تزينت وتعطرت ولبست قرطين كبيرين ذهبيين .. وقد أخذت تربت على شعرى .. وما إن رأيت أننى ما زلت فى ذلك المستشفى .. وأن تلك الممرضة ما زالت موجودة .. حتى أهتجت .. ومدّت المرأة الشابة يدها تحد من حركتى : ابتعدى يا امرأة . ابتعدى ..

كانت المرأة تتصرف وكأنها صاحبة سلطة مطلقة علىّ .. وكانت يداها قويتين .. لم أكن أستطع الحركة .. أرخيت عضلاتى .. ورأيتها ترخى قبضتها عنى .. وأخذت أحدث نفسى : الأمر لا يُحل هكذا يا (أيمن) .. يجب أن تتروى وتهدأ وتعطى الفرصة للآخرين ليهدءوا .. فهذا أدعى أن يفهموك ..

هدأت .. وسمعت المرأة تقول كلامًا لا أفهمه بلغة مائعة .. الإيطالية أو الأسبانية .. أو هذا ما قدرته .. كنت أحس أننى أريد أن أصرخ .. ولكن بداخلى كان هناك الشخص الآخر الذى يخبرنى أنه لا جدوى من الصراخ .. الحل الوحيد هو حل الموقف بالحسنى والهدوء .. ولكن حل أى موقف .. لا أعرف .. ولكن ربما أمكن لهؤلاء الناس أن يساعدونى ..

نظرت إلى يدىّ وساقىّ .. كانتا ما زالتا القطع المصغرة ليدىّ وقدمىّ الأصليتين .. وإن كانتا أفتح لونًا .. فأنا قمحى اللون .. والصبى أبيض ..

وفتحت فمى لأتكلم .. كان من الواضح أن هذه المرأة التى تجلس إلى جوارى هى صاحبة الحل والربط فى هذا الأمر .. ولهذا وجهت حديثى إليها .. وقلت بالإنجليزية حتى يفهمونى ، وإن كنت غير معتاد على الحديث بها : من أنت ؟

مدّت المرأة يدها إلى رأسى .. أقصد رأس الطفل .. ولكنى أحسست بيدها تربت على شعرى .. وأحسست بالهياج وإن أظهره .. كيف تكون رأس الطفل هى رأسى ؟! أو بالأحرى .. كيف أشعر أنا حين يمد أحدهم يده إلى رأس الطفل ؟! كانت المرأة تداعب شعرى وتحتضنى كما تفعل الأمهات .. وبدأت تقول أشياءً أخرى باللغة التى لا أفهمها .. ولكنى كنت أقاومها ، وإن لم يكن بهياج كما فى المرة الأولى ..

وتوقفت المرأة وهى ترى نظرتى ثم أشارت لنفسها ، وقالت شيئًا لم أفهمه ..

كانت [illegible] واضحة : هل تعرفنى ؟

ونظرت لها وحاولت أن أبتسم .. وهززت رأسى .. كلا ..

وأشارت المرأة للممرضة وسألتها بقلق بالإنجليزية : إنه لا يعرفنى .. لا يعرفنى .. ماذا فعلتم به ؟

وأجابت الممرضة : لا شىء يا مسز (تيبالدى) .. ولكنه لا يزال لم يسترد وعيه تمامًا بعد .. وحالة الهياج التى يعانيها

قد تؤثر عليه سلبيًا .. لا تنسى أن قلبه قد توقف مرة قبل ذلك .. فلنتركه اليوم يستريح ..

أعطانى الطبيب مهدئات .. ولكنى كنت مع ذلك واعيًا .. لقد كان برنامج الكمبيوتر هذا .. البرنامج الزفت .. الكنز .. ليس مجرّد برنامج عادى .. لقد جعلنى أدخل جسد الصبى .. أما أين ذهب .. لا أدرى أين .. عقل الصبى .. أو روح الصبى .. فلا أدرى ؟

وتذكّرت فى هذه اللحظة (محمود ثابت) .. ويديه المرتعشتين .. وهو يرتجف .. (أنت لم ترنى .. والكمبيوتر لم يكن ملكًا لى) .. هذا تقريبًا ما قاله .. يا لى من حمار ؟!

لقد اعتبرت الكمبيوتر منحة عظيمة دون أن أفكّر فيما وراءها .. كيف يطاوعك قلبك على أن تفعل بى هذا يا (محمود) ؟ أنا صديقك ..

وتذكّرت سؤاله :

ـ « أنت لا تعرف أى شىء عن الكمبيوتر . أليس كذلك ؟ » لقد ظن أننى لن أعثر على البرنامج الزفت ذى الملفات الخفية ..

كان يجب أن أترك كل شىء على حاله .. ولكن كيف ؟ (أيمن فاروق) يجب ألا يترك سرًا خفيًا .. يجب أن يحور ويدور حتى يكتشف كل شىء غير معروف ، حتى ولم لم يكن من شأنه .. أنا أستحق ما جرى لى .. ولكن (محمود) كذلك يُلام .. لماذا لم يخبرنى .. حتى بالتلميح دون التصريح .. بدلاً من أن أجد نفسى فى موقف كهذا ؟

ولكن يبدو أننى الوحيد الذى أحس بهذا التغيير .. المرأة الشابة التى لا بد أنها أم الصبى أو إحدى قريباته تتحدّث وكأننى نفس الصبى .. ترى أين ذهب ابنها ؟

لو كان المعروض على شاشة الكمبيوتر حقيقيًا .. فقد ضربوه فى رأسه وسقط .. أتراه قد مات ؟ أنا لا أومن بتناسخ الأرواح ؟ ترى هل نحن فى فيلم سينما .. أعنى هل سيظهر فجأة المخرج من ركن ما ويصرخ : اقطع .. انتهينا اليوم يا جماعة .. ولكن أى ركن ..

وإذا ما أردت أن أعكس ما حدث لى فماذا أفعل ؟ الكمبيوتر قد اختفى .. وأنا .. على ما يبدو لست فى (مصر) .. بل لست فى جسدى .. وهذه هى المشكلة .. ما هو الحل ؟

ونظرت حولى .. أريد أن أصلى لعل اللّه يرشدنى إلى ما يجب أن أفعله .. ترى كم الساعة الآن ؟ الساعة طبقًا لأى توقيت ؟ أين أنا أصلاً ؟

يجب أن أقوم وأصلى .. ولكنى لا أستطيع حتى التنفس بشكل سليم .. وصدر الفتى يصدر أصوات صفير حادة .. ولسبب ما لا أستطيع فتح فمى أو تحريك ذراعى .. لعلها المهدئات التى أعطانى إياها الأطباء .. وغلبنى النوم وإنهاك جسد الصبى الصغير .. فسقطت فى سبات عميق ..

★ ★ ★

٧ ـ التكيف مع الجسد الجديد ..

فى اليوم التالى .. استيقظت مبكرًا .. وحين أتت ممرضة أخرى .. التزمت الهدوء ولم أسألها أى أسئلة .. ولكنى طلبت الإذن بأن أذهب إلى الحمام .. وحين أحضرت لى ما تعرفون .. رفضت وأخبرتها أنى أحس بأنى بخير وأريد أن أذهب إلى الحمام ..

كان جسد هذا الصبى ضعيفًا جدًا .. كنت لا أستطيع حتى الوقوف على قدمى .. وقد أحسست أن قدميه الصغيرتين كالجيلى بلا قوام .. وسيطر علىّ دوار غريب .. ولكنى قاومت وتحاملت على نفسى .. ورفضت يد الممرضة التى تسندنى .. ومضيت إلى الحمام .. وهناك توضأت ..

حين خرجت من الغرفة لم تكن موجودة .. صليت صلاة الظهر .. أظن أن الوقت وقت ظهر .. ولكنى لم أصل الصلوات الفائتة .. بسبب إحساسى الشديد بالدوار .. ولكنى دعوت اللّه أن يثبتنى ويسدّد خطاى .. ويجعلنى أفعل الصواب ..

مضى يومان أو ثلاثة دون أن يأتينى زوار .. وبدأت أعتاد المستشفى .. ووجوه الممرضات والأطباء .. كان ما يهمنى هو الشفاء بأسرع ما يمكن .. فيجب أن أغادر المستشفى .. وأجد

وسيلة تجعلنى أتصل بـ (محمود) .. وأجعل (محمود) يذهب إلى بيتى .. ويتصرف ليخرجنى من الكمبيوتر ..

ترى ما الذى حدث لجسدى ؟ ليس لى أى اتصال به .. ترى هل مات جسدى بسبب كون عقلى لا يسيطر عليه .. أم حل عقل الصبى محل عقلى فى جسدى ؟

هل يعيش أبى وأمى الآن فى البيت مع طفل فى السادسة يتلبس جسدى .. إنه كفيل بتطفيش جميع عملائى .. لا توجد وسيلة لأعرف على سبيل اليقين .. ولهذا سأنتظر حتى أقابل (محمود) وأسأله .. فلا شك أنه يعرف الكثير عن هذا الشىء ..

المهم الآن هو الوصول لأقصى درجات التكيف مع جسد الصبى ، وذلك حتى أستطيع الخروج منه ، والعودة إلى ما كنت عليه قبل أن أفتح هذا البرنامج المشئوم ..

كان من الواضح أن الصبى يعانى الربو المزمن ، ولكنى كنت قد بدأت أعتمد على رئتى .. وأجبر جسد الصبى على الاعتماد على رئته وحدها ، دون الحاجة لخيمة التنفس الصناعى ، وجعلتهم يرفعون عنى الخيمة تدريجيًا حتى تخلصت منها تمامًا فى اليوم الثانى .. كذلك بدأت آكل وأطلب الطعام ..

يجب أن أقوم ببناء هذا الجسم الصغير .. لا يجب أن أستسلم لضعفه .. وكان هذا شاغلى الشاغل .. فلم يكن لى فى أثناء وجودى فى المستشفى اهتمام سوى تقوية جسد الصبى ..

ومحاولة المشى ، والاعتماد على نفسى .. والتنفس بشكل طبيعى .. وإلا غرقت فى الأفكار السوداء التى كانت تطاردنى ، برغم كل شىء .. متى ينتهى كل هذا ؟! متى ينتهى ؟

يخيل إلىَّ كذلك أننى أتناول الكثير من الأدوية .. وأنها ليست مؤثرة كما ينبغى .. بل هى جزء من الداء .. فهى تشجع الجسد على أن يعتمد عليها كى يعيش .. وتجعل من هذا إدمانًا .. لا أعنى إدمان المخدرات ..

ولكن كلما اعتاد عضو من أعضاء الجسم لفترة طويلة على أن يعمل معتمدًا على دواء ما أو مساعدة ما .. أو مايمكن أن نسميه .. عكازًا .. كلما قلت قدرته فى المستقبل على العمل ، معتمدًا على قدراته الداخلية ، والاستغناء عن العكاز ..

كنت أتمنى أن أطّلع على روشتات الأدوية التى أتناولها لأعرف ماذا يعطوننى .. وددت كذلك لو كانت أمى هنا .. لرفضت الأدوية بعد أيام قليلة .. وأتتنى بخلطة من لبان الدكر والتليو وشيح البابونج تشفى الآلام الصدرية .. وتعيد للرئة المعتلة صحتها فى فترة قياسية ..

أمَّا أكثر ما يضايقنى فهو أن الجميع يعاملوننى بلا احترام .. وكأننى مجرد شىء .. وليس إنسانًا له رأى .. وكلما رفضت شيئًا أجبرونى عليه ..

وفى اليوم الثالث .. أتت تلك المرأة الإيطالية الجميلة .. كانت هذه المرأة جميلة ورشيقة وأنيقة .. ولكن كان بها شىء ينفرنى منها .. أحسب أنها أم الصبى ، وأننى يجب أن أتركها تحتضننى وتقبلنى .. وأحاول التعايش معها ..

ابتسمت لهذه المرأة ابتسامة متحفظة .. وشجعتها ابتسامتى فانطلقت ترطن بتلك اللغة التى تتحدثها .. ولا بد أن نظرتى قد أزعجت المرأة جدًا .. فسألتنى سؤالاً مباشرًا .. كانت لهجة السؤال واضحة .. ولكنى بالطبع لم أفهم السؤال ..

وأسرعت المرأة تجرى إلى خارج الغرفة .. وعادت ومعها طبيب ..

سألنى الطبيب بالإنجليزية :

ـ هل تفهم كلامى ؟

وهززت رأسى بالإيجاب ..

وابتسم الطبيب وسألنى ثانية :

ـ هل تعرف ما هو اسمك ؟

وهززت رأسى بالنفى .. فقد كنت أعرف أنه يسأل عن اسم الصبى ..

وسأل الطبيب مرة أخرى :

ـ هل تعرف اسم هذه المرأة ؟

وهززت رأسى بالنفى ..

فسألنى الطبيب :

ـ ألا تعرف من هى ؟

وهززت رأسى بالنفى ..

وسأل الطبيب :

ـ ما الذى تذكره عن حياتك الماضية ؟

ورددت :

ـ لا أذكر شيئًا ..

ورفعت المرأة يدها إلى وجهها فى ذهول .. أحسب أن لكنتى المصرية فى أثناء الحديث بالإنجليزية قد أفزعتها .. وقالت للطبيب وهى تصرخ :

إنه حتى لا يعرف كيف يتكلم .. ماذا فعلتم بولدى ؟

وردّ الطبيب :

ـ اطمئنى يا مسز (تيبالدى) .. (لويجى) بخير .. وإن كنت أظن أن هذه هى أعراض فقدان ذاكرة مؤقت .. وربما تضررت مراكز الكلام بالمخ ، بسبب التوقف المؤقت للقلب .. لا أعتقد أن هناك ضررًا فادحًا بالمخ ..

كانت أم الصبى تنظر لى بإشفاق واضح ، ثم احتضنتنى وأخذت تمسح على رأسى وتقول بالإنجليزية :

قل لى يا (لويجى) .. هل صحيح أنك لا تفهم الإيطالية ؟ ألا تتذكر أمك ؟ قل لى ما هو اسمى يا (لويجى) الطيب ؟

وأجبتها :

ـ لقد سمعت الممرضة والطبيب يناديانك بالسيدة (تيبالدى) ..

تحجر وجه المرأة .. وقفزت وهى تصرخ بالممرضة والطبيب :

ـ سأقاضى المستشفى .. كان (لويجى) على خير ما يُرام عندما أتاكم .. والآن هذا .. أنا أعرفكم جيدًا يا معشر الأطباء .. لا بد أنها الأدوية التى تعطونه إياها ..

وقال الطبيب :

ـ أنا أفهم ما تعانينه يا سيدة (تيبالدى) ، ولكن عندما دخل (لويجى) إلى المستشفى كان قلبه قد توقف بالفعل .. مما أوقف للحظات سريان الدم إلى المخ .. وهذا هو السبب فيما ترينه الآن .. وهو عارض مؤقت .. لا داعى لإظهار كل هذا أمام المريض .. من فضلك اصطحبينى إلى الخارج ..

فى اليوم التالى .. أتت أم الغلام لتزورنى .. وكان معها رجل ضخم الجثة .. أحمر الوجه .. ضخم العضلات .. ما إن رآنى حتى ابتسم وقال وهو يضرب رأسى بضربة موجهة ثم يقبلنى بشراسة :

آه .. (لويجى) الصغير .. يقولون إنك لا تذكر أباك .. أهذا صحيح ؟

لماذا داخلنى الرعب .. لا أدرى .. إنه أبو الصبى جاء يطمئن عليه .. وربما كانت هذه هى طريقته فى التعبير عن نفسه ..

لم تعترض أم (لويجى) ـ الاسم يُنطق بتعطيش الجيم ، وهو الاسم الإيطالى لـ (لويس) باللغة الإنجليزية ـ دلالة على أن سلوك أبيه هو سلوك معتاد .. وإن بدا عليها عدم الارتياح قليلاً ..

ومدّت المرأة يدها تسحب الرجل من ذراعه وهى تقول :

ـ هيّا بنا يا (كارلو) .. ها قد اطمأننا إلى أن (لويجى) بخير فلندعه يستريح ..

بعد ثلاثة أيام أخرى .. قدر الأطباء أنى قد أصبحت بخير وسمحوا لى بالخروج ..

اصطحبتنى أم (لويجى) إلى البيت الذى تقيم فيه .. كانت فيلا فخمة عبارة عن دورين .. تطل على حديقة واسعة ، تحيطها أسوار عالية وتمتلئ بالأشجار .. فيما عدا الممشى المؤدى لباب الفيلا .. وساحة كبيرة تُركت كجراج للسيارات ..

كان الدور الأول عبارة عن صالة تحفها من حولها غرف تطل جميعها على الحديقة .. ولكل غرفة بابان .. باب على

الحديقة وباب فى داخل البيت .. ومن الصالة تصعد إلى الغرف العلوية .. التى يمتد أمامها شريط ضيق ينته بدرابزين ..

كانت غرفتى هى غرفة صغيرة فى أقصى اليسار ، وبها نافذة واسعة تطل على الحديقة ، على الجزء الخلفى من المنزل .. وكانت الغرف العلوية كلها تكشف الصالة السفلية بالكامل ..

وسرعان ما تحركت الأحداث .. فى تلك الليلة وبعد الساعة الثانية مساءً ..

استيقظت على صوت أحدهم يسب ويلعن ويتعثر فى الممشى المؤدى للجزء الأمامى من الفيلا .. خرجت أنظر من غرفتى .. ووقفت فى أعلى السلم .. دار المفتاح فى القفل .. كان القادم هو أبو الصبى .. (كارلو تيبالدى) .. وكان من الواضح أنه قد أفرط فى السكر .. وهو يترنح .. وسرعان ما اتجه إلى غرفة نومه فى يمين الطابق السفلى ..

بعد فترة قصيرة .. سمعت أصواتًا غاضبة .. كان من الواضح أنها مشاجرة .. وسمعت صراخ أم الصبى .. سمعت صوت صفعات قوية .. ثم صوت سقوط جسم على الأرض .. كان من الواضح أن أبا الصبى يضرب أمه بقوة ووحشية ..

كنت قد دخلت غرفتى لأنام .. وما شأنى أنا بهؤلاء الناس ؟ لست من بقية أهلهم .. ولكنه شىء يدعو حقًا للاكتئاب ..

ولكن الأكثر مدعاة للاكتئاب .. حين أحسست وأنا فى بداية العودة للنوم .. بصوت خطوات تترنح صاعدة فى السلم ، وفتح باب غرفتى .. ولاح فى مدخله (كارلو تيبالدى) .. وهو لايستطيع أن يقف بطريقة سليمة .. وسحبنى الرجل من ساقى .. وأخذ يضربنى على وجهى بيديه حتى فتح شفتى .. كنت أصرخ وأستغيث .. ولكن ما من مجيب .. هل قتل المرأة ؟

المفترض أنى ابنها .. ألا تصعد لتمنع هذا الوحش عما يفعله بى ؟ كنت بلا حول ولا قوة بين يديه .. وترك الرجل ساقى ومد يده ليمسك بيدى .. ولكنى أسرعت أنتفض من فوق الفراش جريًا ..

★ ★ ★

٨ ــ زوج أمى العزيز .. (كارلو تيبالدى)

لم أجد أمامى من مخبأ سوى الفراغ تحت الفراش .. وسرعان ما اختبأت تحته .. نزل الرجل إلى الأرض وحاول أن يمسكنى بيديه .. ولكن هيهات .. كان الفراش كبيرًا .. والملة مصمتة .. وحجمه كبير .. وحجم الصبى صغير .. وكنت أبتعد عن يده كلما حاول إمساكى ..

أحسب بعد فترة أن الرجل قد تعب من محاولة إمساكى أو وجد أن اللعبة لم تعد مسلية .. وسرعان ما قام مترنحًا .. وخرج من الغرفة .. وسمعت صوت خطواته ينزل السلم إلى غرفته ..

كنت فى هذه اللحظات قد نسيت كل شىء عن عدم قدرتى على التنفس .. فقد بلغ بى الرعب كل مبلغ .. كان قلبى يدق حتى يبدو وكأنه سينخلع تمامًا من صدرى ..

ولكن عندما أحسست بأن المحنة قد انتهت ، وأن الرجل قد أغلق باب غرفة نومه .. وساد البيت الهدوء .. وخرجت من تحت الفراش .. أحسست فجأة بأننى لا أستطيع أن أتنفس إطلاقًا ..

كان رأسى يدور .. ناهيك عن الآلام المبرحة فى وجهى وجسدى .. وأحسست فجأة بالغثيان .. ثم تقيأت ..

تمددت على الفراش فترة قبل أن أستعيد من قوتى ما يمكننى من تنظيف القىء .. والاغتسال .. استعملت بخاخة الربو ..

ما هذا الذى حدث ؟ ما هذا الذى حدث ؟

من الواضح أن الأمر لم يكن حادثة عارضة .. كان يبدو أن الرجل معتاد على ذلك .. كلا .. أنا لن أبقى فى هذا البيت .. ولكن أين أذهب ؟

وقمت ثانية .. كنت قد صليت صلاة العشاء .. ولكنى الآن قررت أن أصلى ركعتين للّه (سبحانه وتعالى) وأستغيث .. لعل اللّه يخلصنى مما أنا فيه ..

فى الصباح الباكر .. فوجئت بوجه جديد .. امرأة شابة سنها ما بين الثانية والعشرين إلى الخامسة والعشرين كما قدرت .. مكتنزة قليلاً .. لم أكن أعرفها .. ولكنى نظرت حولى .. وقررت أنها نفس الغرفة المشئومة التى نمت فيها أمس ..

ونظرت للمرأة وقلت :

ـ من أنت ؟

وابتسمت المرأة وقالت :

ـ أنت لم ترنى من قبل .. أنا (اليزابيث) .. الخادمة الجديدة .. يجب أن تستيقظ يا (لويجى) .. قد حان وقت الإفطار .. وقالت

بأسلوب مغر وكأنها تقدم لى حلوى : هيا .. فسوف تذهب إلى المدرسة لتقابل أصدقاءك وتلعب معهم ..

على مائدة الإفطار .. كانت توجد أم الصبى فقط .. لم يكن أبوه موجودًا والحمد لله .. كانت المرأة قد وضعت قطعة بلاستر على طرف وجهها .. ولكن هذا لم يخف منظر كدمة سوداء اللون .. قبيحة المنظر تحت عينها اليمنى ..

بعد الإفطار قالت أم الصبى : هيا يا (لويجى) .. أسرع بارتداء ثيابك .. فسوف تذهب للمدرسة ..

فتحت دولاب الفتى .. ووجدت هنا زى مدرسة .. ارتديته .. ووجدت حقيبة ظهر وضعتها على ظهرى .. وعدلت من شكل شعرى وأسرعت إلى أسفل .. كانت المرأة تدير السيارة لتسخينها .. فقد كان الجو باردًا جدًا ..

كانت المرأة ترتدى منظارًا كبيرًا أسودًا يغطى نصف وجهها .. ألم أقل لكم ؟ كل هذا معتاد بالنسبة لهم .. وإلا فلماذا اشترت هذه المرأة هذا المنظار الأسود الكبير ؟! إنها من وجهة نظرى تخدم هدفًا واحدًا ..

وجلست بجوار المرأة أتأملها وهى تقود السيارة بمهارة .. لا تبدو لى ضعيفة أو قليلة الحيلة .. لماذا تسمح لهذا الرجل بضربها وضرب ابنه بهذا الشكل ؟! لا أعرف .. ربما كانت

مريضة نفسيًا .. ربما كانت تحتاج إلى أن ينفق عليها وعلى ابنه .. ولكن أنا شخصيًا أفضل أن أعمل بقية حياتى فى تنظيف المراحيض العامة على أن يحدث لى شىء كهذا ..

كان وجهى منفوخًا ، وشفتى مشقوقة ، وساقاى تؤلمانى كثيرًا .. وكانت آثار الضرب واضحة على وجهى .. فأنا كطفل صغير لم أكن أستطيع ارتداء منظار أسود كبير ..

وسرعان ما مالت علىّ المرأة .. وشممت عطرها .. وقالت شيئًا بالإيطالية .. لم أفهم شيئًا .. بل ابتعدت عنها بشكل غريزى ..

وضحكت المرأة ضحكة مفتعلة وقالت :

ـ آه .. لقد نسيت .. إنك قد نسيت الإيطالية .. وإن كنت أجد هذا غريبًا .. فلم تكن تتقن الإنجليزية قبلها .. وكنت تتحدث الإيطالية بطلاقة ..

وخفضت المرأة من صوتها .. لا أدرى لماذا ؟ فلم يكن معنا أحد فى السيارة .. وقالت :

ـ لا داعى يا (لويجى) لأن يعرف أحد أن الكدمات فى وجهك نتيجة لما فعله بك (كارلو) .. قل لهم إنك سقطت على السلم .. وإذا حاولت مس (هتشنسون) استدراجك .. فكن حريصًا ..

وابتسمت المرأة ابتسامة فيها خجل وقالت :

ـ هل تفهم يا عزيزى ما أقوله ؟

نعم .. عزيزك يفهم جيدًا ما تقولينه .. ولكن من هى مس (هتشنسون) هذه ؟

كانت المرأة تقود السيارة وتتحدث ، وتنظر إلىّ وقد صرفت نظرها إلى الطريق .. ولهذا هززت رأسى بسرعة بالإيجاب .. فالأمر لا يحتاج إلى حادثة سيارة أيضًا .. ولكنى كنت أحس أن حادثة السيارة قد تكون هى الحل الوحيد للخروج من كل هذه المشكلات .. وكما قال أبو الطيب المتنبى :

كفى بك داء أن ترى الموت شافيًا وحسب المنايا أن يكنّ أمانيا

إن الأسوأ من الموت .. هو إشتهاء الموت .. والأمر للّه من قبل ومن بعد ..

★ ★ ★

٩ ـ وذهبت إلى المدرسة !!!

تساءلت منذ لحظات من هى مس (هتشنسون) .. خطأ أعتذر عنه بشدّة ..

كانت مس (هتشنسون) هى (فينوس) القرن العشرين والواحد والعشرين .. وربما كل القرون السابقة .. إن النساء فى مستوى جمالها يعملن كعارضات أزياء أو نجمات سينما .. ولكنهن بالتأكيد لا يعملن كمدرسات للأطفال .. لقد أخطأت اختيار مهنتها .. إن رؤيتها فقط .. يمكنها أن تجعلك تغير رأيك فى المواصفات الجمالية للجنس البشرى .. وكانت هذه .. كما خمنتم بالطبع .. هى مدرّسة (لويجى) ..

لا أدرى لم بدأت فجأة أسمع صوت عبد الحليم يقول :

ـ بحياتك يا ولدى امرأة .. عيناها سبحان المعبود .. فمها مرسوم كالعنقود .. ضحكتها أنغام وورود .. بحياتك يا ولدى امرأة .. يهواها القلب .. هى الدنيا ..

كانت مس (هتشنسون) بين الخامسة والسابعة والعشرين كما قدرت .. سن مناسبة جدًا ..

كانت طويلة ورشيقة .. وجميلة .. وحين قبّلت (لويجى) الصغير .. كانت قبلاتها ناعمة وخدها ناعمًا .. لا أدرى لم

تضطر لإعادة كلامها حين تحدثنى .. لا أفهم كثيرًا مما تقول .. فكلما نظرت فى عينيها .. أكاد لا أسمع شيئًا ..

أما اسمها فكان (آن) .. (آن هتشنسون) .. حين تراها تدرك كم كنت قصير النظر ، حين لم تدرك سابقًا بوضوح شديد ان (آن) هو أجمل اسم فى الوجود .. كان اسمها فقط يملؤنى بنوع من التسامى فوق الأشياء العادية والموجودات ..

بالطبع هنأت مس (هتشنسون) الصبى الصغير على عودته للمدرسة وشفائه .. أما أنا فحبست أنفاسى فى صدرى .. هذا ليس عدلاً .. ليس عدلاً .. ليس عدلاً .. حين أقابل امرأة أحلامى .. أكون فى جسم طفل فى السادسة ..

انطلقت مس (هتشنسون) كما يجب أن أناديها تتحدث بحبور عن مدى ترحيب المدرسة بـ (لويجى) .. وكيف أنها تأمل فى أن يحقق تقدمًا فى الدراسة ..

وتساءلت ببراءة لا تخلو من الاصطناع عن سبب الجروح والكدمات فى وجه (لويجى) الصغير ..

وضحكت أم (لويجى) ضحكة كالعصفور وقالت :

- إن المسكين (لويجى) متهور جدًا .. فهو لا يحترس وينطلق على السلالم بسرعة .. وينطلق فى جميع أنحاء البيت

بتهور واضح .. مما يؤدى إلى إصابته بالعديد من الحوادث داخل وخارج البيت ..

ماذا أفعل .. هل أقاطعها وأخبرها بأن المسكين (لويجى) لا يستطيع التنفس .. ناهيك عن الجرى والحركة بتهور أو بدون تهور فى أى مكان ..

قفلت أم الصبى عائدة إلى بيتها .. واصطحبتنى مس (هتشنسون) إلى الفصل ..

ولكن ليس قبل أن تقف معى فى غرفة جانبية ، وتسألنى بابتسامة مشجعة :

- هل صحيح ما قالته أمك يا (لويجى) من أنك قد سقطت على السلالم ؟

وهززت رأسى أن : نعم ..

وعادت (آن) تقول :

- ولكن يبدو لى أنك قد تلقيت العديد من الضربات فى وجهك ؟

وأجبتها :

- لقد اصطدمت بحافة السلم أكثر من مرة ..

هل سمعتم عن نكتة الرجل الذى حرق أذنيه بمكواة الملابس مرتين .. أعنى مرتين .. وهو يظنها سماعة هاتف ؟ كان تفسيرًا من هذا النوع ..

يبدو أن مس (هتشنسون) تعرف .. ولكن ما حيلتها .. ولا أحد يريد أن يعترف بالمشكلة ..

وضحكت مس (هتشنسون) الجميلة بشكل مفتعل ، وقالت وهى تقرص خدى بلطف :

ـ كن حذرًا فى المستقبل يا (لويجى) .. ولا تشعر بالحرج فى اللجوء إلىّ عند ظهور أية مشكلة ..

وهززت رأسى بالإيجاب وتبعتها إلى الفصل ..

حين دخلت الفصل .. أدركت فجأة أن هناك تحولاً كبيرًا فى منظور رؤيتى للأشياء .. فقد كنت دائمًا أنظر للأطفال الصغار من الأعلى .. ولكنى أصبحت أنظر إليهم جميعًا من أسفل لأعلى .. ولعل هذا يعطيكم فكرة عن الحجم الحقيقى لـ (لويجى) .. لقد كنت أقصر وأضعف طفل فى الفصل ..

اكتشفت بالفصل أشياء مهمة .

أولاً : نحن فى ولاية (نيويورك) .. فى عام 1997

ثانيًا : لم يكن اسم الصبى هو (لويجى تيبالدى) كما ظننت .. بل كان اسمه هو (لويجى بييرو) .. أى أن (تيبالدى) لم يكن أباه ، وإنما زوج أمه ..

كيف ترضى امرأة أن تضحى بمصلحة طفلها إلى هذا الحد ؟! وتستمر فى عشرة زوج يضرب ابنها ؟ أما الاكتشاف الثانى ..

فهو أنى فى الصف الرابع الابتدائى .. وليس فى الصف الأول الابتدائى أو الثانى الابتدائى .. كما ظننت .. أى أن عمر (لويجى) حوالى ثمان سنوات .. وليس ستًا كما قدرت ..

كان التلاميذ يضرب بعضهم البعض داخل الفصل كلما أدارت مس (هتشنسون) رأسها .. ولم يكن الأمر يقتصر فقط على الأولاد .. وكذلك فى فسحة الغداء .. لم أكن قد أحضرت معى طعامًا .. ولهذا اكتفيت بالجلوس بعيدًا عن الجميع ..

كان الطلبة يركل بعضهم البعض بمناسبة وبدون مناسبة .. ويجرون على غير هدى .. ثم يصطدمون بعضهم بالبعض .. مما يؤذى صغارهم .. بل كانت البنات كذلك تمثلن مشكلة بالنسبة لى .. فقد كانت معظمهن أكبر من (لويجى) حجمًا .. وأقوى جسمًا .. لعل المهارة أو اللياقة الاجتماعية تعنى الكثير فى دنيا الكبار .. ولكن دنيا الصغار ترتكز فقط على الحجم والقوة ..

انتهت المدرسة .. وخرجت لأتجه إلى الباص حتى أعود لبيت (لويجى) ، وإن كانت الحقيقة أنى لا أريد أن أعود ..

مررت بالحمام ، وفوجئت بيدين قويتين امتدت تسحب (لويجى) وحقيبته التى على ظهره إلى الحمام ..

وهناك .. وجدت صبيين كبيرين .. أكبر منى حجمًا بكثير .. كانت المدرسة مدرسة ابتدائى وإعدادى .. أحسب أن هؤلاء

وبيدو أنهما لم يصدقانى .. لأن أحدهما رفعنى إلى أعلى ، ثم أمسك بى من ساقى وأخذ ينفضنى ..

الأطفال فى الصف الثانى أو الثالث الإعدادى .. ولكن اللّه بارك فى أحجامهم ..

فوجئت بالصبى يسحبنى إلى الداخل ، ثم يقذف بى على الأرض .. وجذبنى الصبى الآخر ، بينما الصبى الأول يجذب عنى من أعلى حقيبتى .. ودفع بى إلى حائط الحمام .. ثم بدأ فى تفتيش جيوبى .. بينما كان الآخر يفتش حقيبتى ..

لم أكن قد أخذت من أم (لويجى) أى مال .. بل لم أكن حتى قد فكّرت فى المال .. فهناك من المصائب ما يغنينى عنه .. وأخبرتهما بهذا ..

ويبدو أنهما لم يصدقانى .. لأن أحدهما رفعنى إلى أعلى ، ثم أمسك بى من ساقى وأخذ ينفضنى ..

وصاح بى الثانى عندما لم يجدا مالاً ، وقد أمسك برأسى بين ثنية كوع ذراعه وجسمه و .. كنت أتألم كثيرًا : سنضع رأسك فى المرحاض حتى تختنق إن لم تدلنا على ما معك من مال .

★ ★ ★

١٠ ـ تحديات المدرسة ..

كان قلبى قد بلغ فمى فى هذه اللحظة .. وكنت أحس بالدوار .. بل أصبحت أرى الشىء اثنين من فرط ما ضغطا على رأسى .. حاولت التحامل وقلت : ليس معى أى مال .. وهذه هى الحقيقة ..

كنت مرتعبًا كما لم يحدث لى من قبل .. هؤلاء الأطفال ليسوا مخلوقات عاقلة .. فيمكنهم أن يفعلوا أى شىء ..

ماذا يمكن أن يفعل بى هذان الصبيان ؟

كنت أرتدى سترة جميلة لامعة .. وخلعها عنى الصبيان .. وقال أحدهما :

ـ سنحتفظ بهذه السترة مقابل المال الذى لم تحضره اليوم يا (لويجى) .. هل تفهم ؟

واكتشفت وأنا متجه إلى باب الحمام .. أن الأمر غير قاصر علىّ .. حين رأيت صبيين كبيرين آخرين يقتادان صبيين صغيرين يبكيان إلى الحمام .. ويقومان بالتفتيش .. وسرعان ما أخرج كل من الصبيين دولارًا أعطياه للصبيين الكبيرين وافتديا به نفسيهما ..

أطلق الصبيان الكبار سراحنا بعد أن وعدنا بعدم الكلام .. وعدم إبلاغ أى شخص من الكبار عما حدث لنا ..

ركبت الباص وأنا أرتعد من البرد .. وقد زاد البرد من حدة نوبة الربو التى أصابتنى ، لكونى لا أرتدى ما يقينى من البرد .. يا للهول !! لقد كان (لويجى) هذا هو نموذج الضحية .. ماذا أفعل ؟ هل ألقى بنفسى تحت عجلات الباص وأنهى هذه الحياة البائسة ..

لقد كنت أنا .. كـ (لويجى بييرو) .. ضحية الجميع .. أمه وزوج أمه .. ومرضه .. وضعف جسده .. وزملائه فى المدرسة ..

أعتقد أن هذا هو الوسط الذى ينتج القاتل المحترف ، الذى يرتكب سلسلة من الجرائم ، بغير ما دافع سوى الانتقام من البشرية .. من جميع الناس .. من كل فرد على سطح الأرض ..

كان الإحساس بالإحباط أشد من عدم قدرتى على التنفس .. وصوت الصفير الذى يصدره صدر (لويجى) .. وأعلى حتى من آلام الركلات التى كنت أتلقاها من حولى بدون مناسبة .. والضجة التى يحدثها الصغار .. هذا لن يستمر .. لا بد له من نهاية .. لا بد له من نهاية ..

عدت إلى المنزل الذى يقيم به الصبى ، وأنا مدمَّر نفسيًا .. كان (كارلو تيبالدى) جالسًا على مائدة الإفطار .. كلا .. أنا لم أرتكب خطأ ..

كان (تيبالدى) يسمى وجبته فى هذه الساعة الإفطار .. وحين رآنى وأنا أرتجف بردًا .. نادانى :

ـ (لويجى) .. ما الذى حدث لك ؟ هل ذهبت إلى المدرسة بغير سترة ؟

وأخبرته بما حدث فى المدرسة .. أملاً فى أن تظهر له فائدة .. وتوقعت أن يثور ويغضب .. ويأخذ لى حقى من هؤلاء الصبية الكبار .. ولكنى فوجئت برد فعله .. لقد ركلنى بقدمه لأصطدم بكرسى كبير على بعد عدة أمتار ، بعد أن طرت فى الهواء .. ووقف يهتف ويصرخ بى :

ـ إن هذا قد حدث لأنك مدلل وجبان .. لماذا لم تنقض على هؤلاء الذين سلبوك سترتك وتضربهم ؟ إنك تستحق ما جرى لك وأكثر .. ستعيش وتموت كأبيك ، الذى عاش طوال حياته فى جحر تحت الأرض ، يعمل إسكافيًا حقيرًا ؛ لأنه لا يملك الجرأة .. مجرّد فأر تدوسه الأقدام .. ومات دون أن ينعيه أحد ..

من يصدق أن ابن (كارلو تيبالدى) يتعرض لكل هذا ؟! كم علمتك وأخبرتك أن المرء يجب أن يكون ذئبًا فى هذه الدنيا ليعيش ويسلم .. ولكنك غبى ضعيف القلب .. لو تعلم هؤلاء أن يخافوا منك .. لما حاولوا ذلك ثانية .. هكذا تكلّم الأب الصالح (تيبالدى) ..

وقفت أحملق فيه .. كنت أريد أن أقول له إن الجسد الذى أعيش فيه لا يكاد يحيا ..ولا يستطيع أن يفعل ما تطلبه منى أيها الوغد .. فالمرء يحتاج إلى جسد الذئب ليكون ذئبًا .. إنك لا تستطيع أن تدرب نعجة على أن تكون ذئبًا .. ليس فقط لأنها نعجة .. ولكن لأنها لا تمتلك أسنان الذئب أو مخالبه ..

وصاح (تيبالدى) :

ـ اصعد إلى غرفتك فورًا .. ولا ترينى وجهك هذا إلا عندما تكون جديرًا بأبوتى ..

وقلت فى سرى :

ـ أيها الوغد الأخرق .. لو كنت ما زلت أعيش فى جسد (أيمن) وضربتنى هكذا .. لما عشت حتى تأكل وجبتك التالية .. ولكنها الظروف ..

★ ★ ★

فى الصباح طلبت من أم (لويجى) مالاً ، وسألتنى كم أريد فقلت لها :

ـ أى شىء .. فأعطتنى عشرة دولارات .. وضعت دولارين فى جيبى .. ووضعت الثمانية دولارات الأخرى بجانب السرير ..

كنت قد خبأت سترة بالحديقة .. قمت بإحضار مقص وأحدثت ثقوبًا كبيرة فى أكمام السترة والطبقة الخارجية منها .. ثم صببت على السترة بعض الكولا ..

كان السطح الداخلى للسترة معزولاً بطبقة من الشمع .. وأنهيت الأمر بدعك السترة فى التراب .. لن أعود إلى البيت بدون سترة بعد ذلك ..

كنت أعرف أين ذهبت السترة السابقة .. لقد ذهب بها الصبيان بالتأكيد إلى محل رهونات ، حيث حصلوا على بضع دولارات ثمنًا لها .. أما هذه السترة .. فلن يكون لديهم دافع لأخذها ..

كنت أمضى الوقت فى الفصل أتأمل مس (هتشنسون) بإعجاب .. وعلى الرغم من كل مشاكلى .. ومن كل ما أشعر به .. فقد كنت أشعر بالانجذاب الشديد لها .. وأتأمل حركاتها وسكناتها .. لعلنى أستطيع أن أعود إلى جسد (أيمن) .. ثم أقوم برحلة لـ (نيويورك) .. ثم آتى لمقابلة مس (آن هتشنسون) .. سيناريو رائع .. ولكن يجب أن أخرج من جسد (لويجى) أولاً ..

علقت مس (هتشنسون) على السترة التى ألبسها .. ونظر لى بعض التلاميذ والتلميذات باحتقار .. ولكنى كنت أنتظر المحك .. بعد نهاية اليوم الدراسى .. وسرعان ما قبضت علىّ أربعة أيدى ، وامتدت تسألنى عن النقود : وأخرجت الدولارين وأعطيتهما للصبيين ، وقلت لهما :

ـ هذا كل ما معى .. وفى الغد لا داعى لأن تسحبونى إلى الحمام .. تعالوا لى عند الفصل .. وسأعطيكم كل يوم دولارين مقابل عدم مضايقتى ..

كان هذا من وجهة نظرى تفاهمًا منطقيًا .. ولكن يبدو أنه كان للصبيان رأى آخر .. فقد دفعنى أحدهما إلى الحائط ، حيث أخذ يضغط على رقبتى ويقول :

ـ ما هذا ؟ وهل تفرض علينا شروطك ؟

وقلت له :

ـ كلا بالطبع .. ولكنى سأعطيكم دولارين .. وكل شىء له مقابل .. وسيكون الدولاران ثمن عدم مضايقتى .. وعدم قيام آخرين غيركم بمضايقتى .. إنها أتعاب حماية .. أليس هذا هو المعنى ؟

تفهَّم منطقى .. هذا ما أردته ..

وصاح الولد الكبير ، وكان اسمه كما علمت .. (ماكورميك) .. وهو صبى فى الصف الثالث الإعدادى .. أكبر بخمس سنوات فقط من (لويجى) .. وإن كان ضخمًا سمينًا بحيث يصنع أربعة من (لويجى) الصغير :

ـ وإذا ضايقناك أيها النكرة ؟

أجبته بهدوء شديد :

ـ عندها سأخبر مس (هتشنسون) والناظر أنك و (ديفيز) تفرضان إتاوة على الأولاد .. وسأخبرهما بأسماء الأولاد الذين

تسلبونهم مالهم كل يوم .. وتحت الضغط .. أعتقد أن ولدًا أو اثنين سيعترفان .. وعندها سيتم طردكم من المدرسة ..

وصاح (ماكورميك) بـ (ديفيز) :

ـ أعتقد أن علينا أن نقتله الآن ..

وضحكت .. وقلت لـ (ماكورميك) :

ـ إذن .. فلم لا تبدأ ؟ قد تكون هذه هى فرصتك الوحيدة ..

لا يمكنك الحديث بالمنطق مع الأطفال .. هذا ما تعلمته .. وكان الدرس متأخرًا .. متأخرًا جدًا .. دفع الصبى بركبته فى صدرى بعنف شديد .. وأحسست بقلبى يطبق على .. وسقطت على الأرض وأنا لا أستطيع أن أتنفس .. ثم أظلمت الدنيا فى عينى .. ولم أدر بشىء ..

★ ★ ★

١١ ـ استعادة السيطرة ..

استيقظت من إغمائى فى المستشفى .. وأنا لا أستطيع أن أتنفس كالعادة .. تحت خيمة الأكسجين ..

اكتشفت من حديث أم (لويجى) التى أتت تزورنى بعد يومين .. حين تحسنت حالتى .. أنهم قد عثروا علىّ بعد انتهاء اليوم الدراسى مغمى علىّ فى أحد الحمامات .. وقد تم إغلاق الباب بالقفل ، بحيث لا يُكتشف وجودى إلا بعد فترة طويلة ..

وقد كان معنى هذا بالنسبة لإدارة المدرسة أن هناك شبهة جنائية .. ولهذا واعدت الشرطة أم (لويجى) كى تسألنى أمامها فى هذا اليوم ..

ذكرت للشرطة أسماء الأولاد الذين ضربونى .. وكيف أنهم كانوا يبتزون منى المال كل يوم ، وكذلك كانوا يفعلون مع بقية الأولاد الصغار .. ودللت على أسماء الضحايا وأسماء المعتدين ..

فى اليوم التالى أتت مس (هتشنسون) لزيارتى وأخبرتنى أنهم قبضوا على الأولاد الأربعة ، وأنهم سيخضعونهم لمحكمة أحداث بسبب فعلهم هذا .. خاصة بعد أن قبل أحد الصغار الذين أدليت بأسمائهم كضحايا أن يتحدّث .. تحت الضغط .. وقال :

إن الصبيان يسلبونه ماله كل يوم .. وأنهم يفرضون الإتاوات على العديد من الأطفال ..

عظيم .. كنت بالطبع قد نلت علقة العمر .. إنما حقق هذا غرضى فى التخلص من مضايقة (ماكورميك) وأتباعه من البلطجية الصغار .. وإن كانوا أقل مشاكلى أهمية .. فحسبى دولاران فى اليوم لأنتهى من مضايقتهم لى ..

بعد يومين .. عدت إلى البيت ، وفى اليوم التالى عدت إلى المدرسة ..

فى ذلك اليوم .. وعلى الرغم من أنى كنت ما زلت مريضًا .. إلا أنى استعرت من مكتبة المدرسة خريطة للمنطقة ، وقائمة بأسماء المواصلات التى توصل إلى المنطقة التجارية القريبة ..

وفى ذلك اليوم عدت من المدرسة .. وتناولت طعام الإفطار مع (تيبالدى) .. الذى لم يحاول مضايقتى لأنه بدا مشغول الذهن بشىء ما .. وطلبت من أم (لويجى) مبلغ مائة دولار .. فأعطتنى إياه فورًا .. وركبت بعد ذلك إحدى الحافلات إلى المكتبة العامة حيث اشتركت بها ..

كنت قد قرأت من قبل كثيرًا عن (نيويورك) .. ولكن المكتبة العامة أدهشتنى بكثرة وتنوع الكتب بها ..

اشتركت بالمكتبة .. واستعرت كتابين عن مشكلة شرب الخمور لمحاولة التكيف مع (تيبالدى) .. وكتابًا عن سيكولوجية

المراهقة .. كى أستطيع التعامل مع الصبيان الكبار فى المدرسة .. وكتابًا رابعًا عن مرحلة الطفولة .. وقفلت بالكتب الأربعة عائدًا إلى البيت ..

بالطبع اندهش مَنْ بالمكتبة حين رأوا الكتب التى اخترتها .. واندهشت أم (لويجى) ، لأنها كانت تحسب أن (لويجى) ـ مع كل المشكلات المعقدة التى يعانيها ـ لم يكن يفكر فى القراءة .. ولكنى قابلت دهشتهم بالصمت .. فكيف أفسر ما لا يمكن تفسيره ..

وفى تلك الليلة .. حدث الشىء المتوقع .. فقد ضرب السيد (تيبالدى) زوجته .. وصعد إلى الدور العلوى ليضرب ابن زوجته ـ أنا بلا أى فخر ـ ولكنى كنت قد علقت جرسًا صغيرًا فى الباب ، ووضعت العديد من الزجاجات التى تحوى كرات حديدية صغيرة داخلها ، وذلك لتحذيرى عند فتح الباب فجأة ..

ولهذا فبمجرّد أن فتح الباب .. استيقظت وألقيت بنفسى تحت السرير .. وباءت جميع محاولاته للإمساك بى بالفشل .. وعلى الرغم من أنى لم أكن أجد أنفاسى .. وأنى كدت أفقد وعيى من الرعب والإرهاق .. إلا أنه لم يمسك بى ..

فى الغد سأقوم بتركيب الترباس الذى اشتريته من المنطقة التجارية ، فربما أثناه هذا عن عزمه على ضربى ..

أما امرأته فلها اللّه .. هى فقط يمكن أن تنهى مشكلتها بطلب الطلاق .. والهرب بابنها بعيدًا .. وإن كنت أظن أن ابنها قد مات .. ولكنى أحسب أنها لن تفعل ذلك ..

فالمرأة بالتأكيد مريضة نفسيًا .. فلا يبدو عليها أنها تشعر مثل بقية الناس ..

عكفتُ فى تلك الليلة والليالى التالية على قراءة الكتب التى استعرتها من المكتبة .. كانت الكتب الخاصة بمشكلة إدمان الخمور تصنف حالة السكير فى أثناء سكره ، بأنها حالة شبيهة بالحيوانية .. تتعطل فيها القدرات المنطقية البشرية .. وتسود فيها حالة تنطبق عليها تجارب الارتباط الشرطى التى أجراها (بافلوف) .. أى أن المدمن لا يفكر عقلانيًا فى الأشياء ، ولكنه يربط الشىء بالشىء ..

فهو يربط شخصًا ضربه فى أثناء سكره مثلاً بشعور الخوف .. فيتجنب هذا الشخص فى أثناء سكره .. ويربط شخصًا قضى معه وقتًا ممتعًا فى أثناء سكره بشعور الاستمتاع مثلاً .. فيقبل على هذا الشخص فى أثناء سكره ..

وكذلك فإنه فى حالات السكر الشديدة .. لا يتذكر السكير الكثير مما له علاقة بحياته ، وجسده خال من الكحول ، ولكنه

يتذكر بوضوح الأشياء التى حدثت له فى أثناء سكره .. والعكس صحيح فهو لا يتذكر وجسده خال من الكحول الأشياء التى قام بها أثناء السكر ..

إذن ينبغى لإبعاد (تيبالدى) عنى أن يربط بينى وبين الشعور بشىء ينفر منه .. كالألم مثلاً .. أو الخوف .. وبهذا يتجنب الاقتراب منى فى أثناء سكره .. وبشكل مثالى .. فإنه من الأفضل أن يربط (تيبالدى) بين البيت كله وبين الألم أو سبب آخر من أسباب النفور .. وبالتالى يبتعد عن البيت كله فى أثناء سكره .. ولكن كيف ؟ .. كان يجب أن أفكّر فى هذا ..

كنت .. وبعد أن ذهب (ماكورميك) وزملاؤه من البلطجية الصغار (ديفيز) و (كول) و (باريش) قد بدأت أعتاد المدرسة وأسلوب أن الكبير يأكل الصغير .. وفى غياب هؤلاء البلطجية .. بدأ آخرون فى استعراض قوتهم .. واستطعت اكتساب صداقة أحدهم ..

ففى يوم كنت أجلس وحيدًا فى ساحة اللعب ، عندما جلس بجانبى صبيان فى السنة الثانية الإعدادية .. وكانا يحاولان حل مسألة حسابية دون جدوى .. وعاونتهما .. ومن هنا تعرفتهما ..

كان الضخم منهما يسمى (جرانت) .. وهو شاب أسمر طويل ، يلعب فى فريق كرة السلة بالمدرسة .. وفى قوة

(هرقل) .. وعلى الرغم من ضخامته .. فقد كان عقله صغيرًا .. أحسب أنه وسط كل هذا المجهود لتنمية وإظهار كل عضلة من عضلات الجسم .. نسى صديقى (جرانت) تنمية المكان الوحيد الخالى من العضلات فى جسمه .. عقله بالطبع .. وإن كان يلعب كرة السلة بشكل رائع حقًا ..

بدا (جرانت) هذا يسألنى قبل الامتحانات عن الموضوعات التى لا يفهمها .. وكنت أشرح له الأشياء التى تستغلق عليه .. وحين كان لا يستطيع فهم كيفية حل مسألة بعد عدة مرات من الشرح .. كنت أحلها له .. وأمرى لله ..

ركبت الترباس على الباب .. وقد منع هذا الترباس (تيبالدى) من اقتحام غرفتى مرتين ..

أرجعت الكتب التى استعرتها من المكتبة ، واستعرت غيرها عن مرض الربو .. وتعلمت كيف أحافظ على صحتى ..

أصبحت أتناول دواءً واحدًا بشكل منتظم وبجرعات أقل من الموصوفة لى بوساطة الطبيب .. وأجبر نفسى على تناول الطعام حتى لو رفضته شهية (لويجى) الصغير ..

ومن هنا بدأت صحتى تتحسن .. وأحسست بنوع من السيطرة على حياتى ..

ولكن إحساسى بالسيطرة قد انتهى تمامًا عندما امتدت أربعة أيد تجذبنى مرة أخرى إلى الحمام بعد الدراسة .. ونظرت لأجد (ماكورميك) و (ديفيز) وصبيين صغيرين يبكيان ..

وصاح (ماكورميك) :

- (لويجى) الصغير .. كيف حالك يا (لويجى) ؟

كنت بالطبع فى شر حال .. كيف سمحوا لهؤلاء المجرمين الصغار بالخروج من الإصلاحية .. أم لعلهم قد خرجوا منها ؟

وصاح (ماكورميك) :

- أخرج دولاريك يا (لويجى) ..

★ ★ ★

١٢ ـ انهيار السيطرة ..

الحق يقال .. لم أفكّر فى إحضار دولارات للمدرسة .. وكانت سترتى نظيفة لامعة .. وكنت أعرف ما سيحدث ..

لقد ضربونى لأنى وَشَيتُ بهم ، ولم أحضر لهم مالاً .. وأخذوا السترة ..

كان اليوم باردًا إلى حد كبير .. ورحلت وأنا أغالب البرد ، وعدم قدرتى على التنفس .. وضجة الأطفال فى الباص من حولى ..

ووصلت إلى البيت بدون سترة ، فضربنى (تيبالدى) لأنى لم أضرب الأولاد .. ومكنتهم من أخذ سترتى ..

ضربنى (تيبالدى) .. كما قال .. لعل الضرب يعلمنى شيئًا .. وقد علمنى الضرب أشياء .. وهذا ما سترونه ويراه (تيبالدى) فيما بعد ..

وكأن كل هذا لم يكفنى .. فقد كسر (تيبالدى) فى تلك الليلة باب غرفتى المغلق بالمزلاج ..

ودخل الغرفة وهو فى حالة سكر بيّن .. وأمسك بى وانهال علىّ ضربًا .. وذلك قبل أن أنزل تحت السرير .. ثم أتركه فى

الغرفة وأنزل السلالم جريًا إلى الدور الأرضى ، حيث ساعدنى حجمى الصغير على الاختباء فى الحديقة فى الظلام فى البرد الشديد ، حيث كنت بملابس النوم الخفيفة .. لأن الفيلا مكيفة من الداخل .. وظللت فى الحديقة حتى صباح اليوم التالى ..

والنتيجة فى اليوم التالى .. كنت قد أصبت ببرد فظيع .. وانهارت جميع محاولاتى للتحكم فى صحة (لويجى) هذا ..

أما إذا أردتم أنباءً أسوأ .. فقد اكتشفت فى اليوم التالى فى المدرسة أن (ماكورميك) وزملاءه لم يهربوا من الإصلاحية .. وإنما اعترفوا فى المحكمة .. بناء على نصيحة محاميهم طبعًا بأفعالهم .. وأعلنوا توبتهم واعتذارهم عن أعمال البلطجة .. ولهذا اكتفت المحكمة بتوجيه اللوم إليهم .. وأفرجت عنهم ..

أما كيف تفعل المحكمة ذلك .. وما معنى أعلنوا توبتهم .. فهذا ما لا أفهمه ..

فى ذلك اليوم دفعت إلى (ماكورميك) بالدولارين .. وتلقيت عدة ركلات .. وعدة لطمات على وجهى .. وركبت الحافلة وأنا أغلى من الغيظ .. لأعود إلى البيت .. فأرى وجه (تيبالدى) (الزفت) .. على مائدة إفطاره ..

هذا لا يمكن أن يدوم .. لا بد من نهاية ..

وفى مكان آخر .. كان (ماكورميك) يجلس مع (ديفيز) و (كول) و (باريش) .. وكان يقول :

ـ إن هذا الصبى (لويجى) يمكن أن يسبب لنا مشكلة كبيرة .. منذ فترة وأنا أحس فى نفسه بالتمرّد .. وقد أبلغ الشرطة عنا ، وقد يفعل ذلك ثانية .. فمسألة إبلاغه عنا هى مسألة وقت وليس أكثر .. إنه لا يخاف منا كما كان يفعل من قبل ، وكما يخاف الآخرون .. بل لقد دفع إلى يدى اليوم بالدولارين وكأنه يتصدّق علينا .. مما حدا بى إلى ضربه ..

وردّ (ديفيز) :

ـ الأمر بسيط .. حسبنا أن يطبق أحدنا على عنقه بيديه فينتهى أمره فى لحظات ..

وردّ (ماكورميك) بسرعة وهو يشير مسفهًا لفكرة الآخر :

ـ كلا بالطبع .. سيكشف أى طبيب أنه قد مات مخنوقًا .. وسوف نكون نحن أول من يتهم .. لهذا منعتك من الاستمرار فى ضربه اليوم .. لو حدث لهذا الصبى مكروه .. فسوف نكون نحن أول من يشكون فيه .. وفى هذه الحالة يمكن لأى من الصبيان الصغار أن يخاف لدى رؤيته لرجال الشرطة مهما حذرناه نحن وأخفناه .. ويفضح كل شىء .. ولا أعتقد أنهم بعد هذا سيتوانون عن تعليقنا فى المشانق ..

وأردف (ماكورميك) يقول :

ـ كلا .. الحل فى رأيى هو أن نجعل (لويجى) الصغير يفعل شيئًا يشعره بالإثم والخجل الشديدين .. بحيث لا يجرؤ أبدًا على عصياننا بعد ذلك .. إذا هددناه أننا سنفضح هذا الشىء ..

فى تلك الليلة بدأت خطتى لتكوين الارتباطات الشرطية فى عقل (تيبالدى) ..

فقد أعددت عصًا طويلة تنتهى بسكين حادة ..

قضيت وقتًا طويلاً فى سِنِّها ؛ حتى أصبحت قاطعة بمجرّد اللمس ..

وأعددت بالإضافة إلى ذلك .. (شاكوشًا) صغير الحجم ذا رأس كبير .. ووضعت عددًا من الفخاخ فى مختلف أنحاء الغرفة ..

كان الخدم .. (اليزابيث) و (براون) ينظفان غرفتى فى الصباح الباكر .. حيث يتم تغيير المفارش وكنس الغرفة وترتيبها .. ولكنى وجدت أماكن خارج البيت ..

فقد كان هناك إفريز عريض يمتد خارج غرفتى .. وكان جسمى الصغير يساعدنى على الحركة على هذا الإفريز بحرية .. ووجدت بهذا الإفريز العديد من الفجوات التى تعتبر مناسبة تمامًا كمخابئ لمعداتى ..

لم تكن أم (لويجى) تصعد إلى غرفتى .. بل كانت تنادينى كلما أرادتنى .. كذلك كان الخدم يرحلون إلى بيوتهم فى السابعة مساءً ..

أى أنه أصبح بإمكانى نصب الفخاخ فى البيت ابتداءً من الثامنة أو التاسعة .. ولكن (تيبالدى) لم يعد إلى البيت فى تلك الليلة ..

وفى اليوم التالى ذهبت إلى المدرسة بسترة قديمة جدًا وممزقة .. وإن كانت تُبقى جسدى دافئًا .. قايضت على هذه السترة بسترة جميلة وأنيقة مع أحد الصبيان فى المدرسة .. فلا أحسب أن (ماكورميك) سيفكّر فى أخذ هذه السترة ..

لم أفكر قط فى اللجوء إلى (جرانت) فى وجود (ماكورميك) وعصابته ..

فمن السهل جدًا على العصابة أن تطعن (جرانت) مثلاً بسكين أو حتى تضربه بمسدس .. فكثيرًا ما رأيت أسلحة نارية تلمع فى أيدى الصبيان الكبار ثم تختفى .. خاصة أن (ماكورميك) يعتبرنى والصبيان الصغار من مصادر دخله الأساسى ..

فى ذلك اليوم .. سحبتنى كالعادة أربع أيدٍ إلى الحمام فى نهاية اليوم ..

لم يكن هناك صبيان صغار غيرى .. فقد تأخرت فى النزول من معمل الكمبيوتر .. ومددت يدى بالدولارين وتأهبت للرحيل ..

ولكن (ديفيز) وضع الدولارين فى جيبه وقال :

ـ كلا .. لن ترحل اليوم يا (لويجى) .. فلدينا لك نزهة صغيرة .. سنذهب إلى مكان نلهو فيه معًا ..

وأسرعت أجرى فى اتجاه باب الحمام .. ولكن يدى (كول) كانتا أسرع من ساقى (لويجى) ..

حملنى (كول) وقد كمم فمى .. مما جعلنى لا أستطيع التنفس .. كنت كذلك قريبًا من الإغماء .. فقد كان قلبى يدق بعنف من الرعب ..

ترى ماذا سيفعلون بى ؟

★ ★ ★

١٣ ـ وانضممت لعصابة الأربعة ..

لم أعرف ما الأمر حتى توقفنا أمام سوبر ماركت كبير .. وهناك قلبنى (ديفيز) وهو يمسك بساقى وقال وهو يلويهما بشكل جعلنى أصرخ و (كول) يكتم فمى بيديه :

ـ ما رأيك يا (لويجى) لو كسرنا ساقيك ؟ أو الأفضل لو كسرنا فمك ويديك ، حتى لا تستطيع أن تدل علينا : عليك أن تفعل ما نأمرك به .. وإلا فهذا بالضبط ما سيحدث لك ..

وأخرج (كول) سكينًا عريضة ذات نصل لامع وهو يقول :

ـ بل إننى قد أقطع لسانك يا (لويجى) .. هل ترى هذه السكين .. وضغط (باريش) على فكى .. واستمر (كول) يقول :

ـ أخرج لسانك يا (لويجى) .. و (كول) يلوح أمامى بسكينه ..

كنت أحس وكأننى قد دخلت أحد أفلام الرعب .. وأحسست بأن الدم يصعد فى رأسى ويضرب سقفًا فيها إلى درجة أننى كنت أحس بالدوار ..

إنهم ليسوا بشريين هؤلاء الصبية المراهقون .. أكاد أجزم أن هذا ما سيفعلونه ..

وأخيرًا قال (ماكورميك) :

ـ كفوا عن هذا .. (لويجى) صبى طيب .. وسيستمع لما نقول وينفذه .. أليس كذلك يا (لويجى) ..

وهززت رأسى بالإيجاب .. نعم .. نعم ..

فتح (ماكورميك) باب السيارة ، ودخل إلى السوبر ماركت الكبير ، وقضى به حوالى ربع ساعة .. وسرعان ما خرج وهو يقول :

ـ لا يوجد ما نخاف منه ..

وسحبنى (ماكورميك) من ياقة سترتى وهو يقول ممسكًا بقناع وسترة وشىء آخر لم أتبينه :

ـ عندما ندخل .. تدخل إلى الداخل وتنزوى فى ركن .. وعندما نصدر لك إشارتنا تغير بسترتك هذه السترة ..

وأعطانى سترة كان قد أخذها منى من قبل ..

وتضع هذا القناع على وجهك وتأتى جريًا .. وتعطى لكل من الجالسين على خزائن الحساب كيسًا من هذه الأكياس ..

كان الشىء الآخر هو مجموعة من الأكياس المصنوعة من القماش .. وبمجرّد أن يضعوا المال فى الأكياس .. تجمع الأكياس منهم بسرعة .. وتجرى عند إشارتنا ، وتسرع إلى السيارة .. هل تفهم ما أقول ؟

كنت أفهم بالطبع بوضوح ما يقول .. خاصة عندما رأيتهم يضعون داخل ستراتهم مسدسات كبيرة وأقنعة لرءوس حيوانات مختلفة .. ويضع (ماكورميك) داخل سترته رشاشًا آليًا .. لقد كانت عملية سطو مسلح ..

كنت أحملق فى وجهه كالمشدوه ..

أحسب أن الدهشة قد غطت على أى إحساس لى بوجوب افتعال الطفولة ..

إنهم يقومون بعمليات سطو مسلح بالأسلحة النارية على المحلات التجارية .. أى أن فرض الإتاوات على الأطفال الصغار لم يكن نشاطهم التجارى الوحيد ..

صبيان فى المدرسة الإعدادية كوّنوا عصابة للسطو المسلح !!

منتهى السمو والرفعة ..

هل سمعتم قول الشاعر :

أأبناء المدارس إن نفسى تؤمل فيكم الأمل الكبيرا
فسقيًا للمدارس من رياض لنا قد أنبتت منكم زهورا

زهور .. نعم .. وأى زهور .. زهور مسلحة بالأسلحة النارية والآلية ..

وضغط (ديفيز) على عنقى من الخلف لأنى لم أرد بسرعة . وقال : هل تفهم ما قال ؟

وصرخت من الألم : نعم .. نعم .. أنا أفهم .. وسأفعل ما تقولون ..

كان كل من الفتيان الأربعة ضخم الجسم ، وقد ارتدوا فى هذه المناسبة ـ ولاحظت هذا للمرة الأولى ـ حللاً رجالية تبرز عرض أكتافهم وضخامة أجسامهم ..

لم يحضروا بهذه الملابس من قبل للمدرسة .. عندما تراهم بهذه الثياب لا يمكن أن يتبادر إلى ذهنك أنهم نفس الأولاد من المدرسة الإعدادية ، وأن عمر أكبرهم ربما لا يزيد على الخامسة عشرة ..

ونزل (ماكورميك) ليجلس القرفصاء ليحدثنى وجهًا لوجه .. بهدوء .. كى أفهم .. بما أنه يظن أننى لم أستوعب ما قاله فى المرة الأولى :

ـ عليك أن تدخل إلى المتجر وتختبئ فى ركن ترى منه الباب .. سنقف نحن فى الداخل بعد الباب مباشرة ، وخارج نطاق كاميرات الأمان المُركزة على آلات الحساب ..

ثم هزّ رأسه وكأننى لن أفهم الجزئية الأخيرة .. وأردف :

ـ أمام منطقة الكاميرات .. وبمجرّد أن ترى إشارتنا .. فعليك أن تغير سترتك .. وتضع القناع .. وتأتى فورًا إلى موقع آلات الحساب ومعك الأكياس ، وتنفذ كل شىء فى ثوان ..

وتخلى (ماكورميك) عن لهجته الصبور ، وقال بلهجة محذرة :

ـ ولكن إذا لم تحضر نحو آلات الحساب مع إشارتنا فسوف ندخل المتجر ونمسك بك .. ونقتلك وسط الناس .. هل تفهم ؟

بالطبع فهمت الجزئية الأخيرة بجلاء شديد .. نعم .. هذا ما سيفعلونه لو عصيتهم .. فإن (لويجى) قد أصبح يعرف سرهم .. وقتله وسط الناس بوساطة عصابة يبعد الشبهة عن زملائه فى المدرسة ..

وهززت رأسى هذه المرة بجد :

ـ نعم أفهم .. وسأفعل كل ما تريدونه ..

ومضيت إلى المتجر أولاً .. ودخلت .. ومررت بسرعة أمام كاميرات الأمن .. ثم وقفت فى ركن يمكننى أن أشهد منه الباب كما قالوا لى .. ووجهى نحو البضائع وأنا أتفحصها ..

وسرعان ما دخل ثلاثة وقد ارتدوا أقنعة الحيوانات .. وأطلق (ماكورميك) زخة رصاص فى الهواء من سلاحه الآلى ، وأمر جميع العملاء بالانبطاح أرضًا .. وفعلاً .. انبطح الجميع أرضًا .. وأشار لى (ماكورميك) لأبدأ ..

كنت قد وضعت قناعى ، وغيرت سترتى ، وكورت السترة القديمة ووضعتها داخل الفراغ بين جسمى والسترة الجديدة حين دخلوا ..

وأسرعت مع إشارة (ماكورميك) نحو آلات الحساب التى كان يقف وراءها الأربعة وهم يلبسون أقنعتهم وبأيديهم الأسلحة النارية .. وقد رفع كل من الجالسين على آلات الحساب يديه إلى أعلى .. بينما انبطح العملاء أمام آلات الحساب على الأرض ..

وحين تلكأت صرخ (ماكورميك) :

ـ أسرع .. أسرع ..

وأسرعت أوزع الأكياس بسرعة على العمال الجالسين أمام آلات الحساب ، ثم عدت بسرعة من البداية لجمعها ، وقد امتلأت بالمال ..

وما انتهيت حتى أشار (ماكورميك) .. فأسرعت إلى السيارة حيث كان يجلس (باررِيش) مستعدًا أمام مقودها للانطلاق ..

وسرعان ما لحق بى (كول) .. ثم أتى (ماكورميك) و (ديفيز) يجريان ، بينما كانت السيارة قد بدأت تتحرك بالفعل .. وركبا بجوارى على المقعد الخلفى ..

كان من الواضح أن الأربعة قد فعلوا ذلك من قبل .. وأنهم عصابة مدرّبة .. قد طوّروا من أساليبهم نتيجة لاستفادتهم من الأخطاء السابقة ..

ومع انطلاق السيارة بعيدًا عن المكان .. كان (كول) فى المقعد الأمامى يفتح زجاجة شمبانيا ويناولها لـ (ماكورميك) و (ديفيز) الجالسين فى المقعد الخلفى .. وصرخ (كول) :

وأسرعت مع إشارة (ماكورميك) نحو الآلات الحساب التى كان يقف وراءها الأربعة وهم يلبسون أقنعتهم وبأيديهم الأسلحة النارية ..

ـ ها ها .. لقد سرقنا هذا المتجر بالفعل للمرة الثانية فى أسبوع واحد .. وحتى بعد أن غيروا موضع كاميرات الأمان ، ووضعوها فى هذا الموقع فوق آلات الحساب .. أحسب أنهم الآن سيضعون الكاميرات خارج المتجر ..

وضربنى (ديفيز) على ظهرى بقوة جعلت عظامى تغير مواضعها داخل جسدى :

ـ كنت رائعًا يا (لويجى) .. وكأنك قد ولدت للقيام بهذا العمل .. لقد سمعت أن جميع الإيطاليين هم فى الأصل لصوص .. ها ها ..

وسحبنى (ماكورميك) إليه بخشونة وهو يقول :

ـ الآن .. صرت عضوًا فى عصابتنا يا (لويجى) .. وإذا قبضت علينا الشرطة فسوف تسجنك معنا .. وسنقول جميعًا وقتها إنك قد طلبت منا القيام بهذا الدور .. وأننا قد أعطيناك نصيبًا من المال الذى أخذناه من المحل ..

هل تفهم يا (لويجى) ؟ إنك لن تخبر أحدًا عنا بعد ذلك .. فأنت الآن شريكنا ..

وهززت رأسى باكتئاب .. لم يكن من الممكن .. ما لم أعرف المخبأ الذى سيودعون فيه المال والسلاح والملابس والأقنعة أن أقنع أحدًا بأنهم هم الذين سرقوا المتجر .. خاصة وأننى

طفل فى الثامنة .. وأسهل شىء أن يُقال عن كلامى إنه تهيؤات .. أو محاولة طفولية للخلاص من صبيان يضايقوننى ..

كما أن إبلاغى الشرطة أو أى شخص فيه خطر شديد علىّ ..

فمع أول بادرة سيقتلوننى .. نعم .. سيقتلوننى فعلاً هذه المرّة .. فأنا الشاهد الوحيد على جريمتهم .. أو سيستأجرون من الصبيان الآخرين من يخلصهم منى .. وهذا سهل جدًا حسب ما رأيت ..

عدت إلى البيت وأنا أنتفض من هول المغامرة .. كنت أحس وكأن جسمى كله .. خاصة الجزء العلوى من رأسى .. قد توقف فيه الدم ..

وبعد منتصف الليل .. عاد زوج أمى العزيز جدًا .. (تيبالدى) .. وضربها .. وصعد ليضربنى ..

كنت قد استبدلت المزلاج بعد أن أصلحوا الباب .. ودعوت اللّه (سبحانه وتعالى) أن يكفى المؤمنين شر القتال .. وأن يجعل الرجل يذهب من تلقاء نفسه ..

ولكن للأسف .. أصر (تيبالدى) على كسر الباب ثانية .. ودخل ..

جَثَتْ على نفسها براقش ..

★ ★ ★

١٤ ـ تجديد الذات يحل المشكلات ..

ما إن خطا (تيبالدى) العزيز أول خطواته داخل الغرفة ووضع قدمه على الأرض ، حتى صرخ صرخة شديدة .. وقفز إلى الخلف ساقطًا بظهره على الأرض ، وهو يتلوى من الألم .. وسرعان ما فقد وعيه ..

كنت قد استبدلت الألواح الخشبية الأربع من خشب الأرضية أمام باب غرفتى الضيق بفخ كان ينصبه الأهالى للجنود الأمريكيين فى حرب (فيتنام) .. وقرأت عنه فى أحد الكتب ..

وأسرعت أقفز فوق جسده الساقط على الأرض ، وأنطلق إلى التليفون فى الممشى العلوى أمام غرفتى .. لأتصل بالإسعاف وأخبرهم أن أبى المسكين قد سقط فجأة من السكر ..

وسرعان ما أعدت الألواح الخشبية الأربعة إلى مكانها من الأرض ، وثبتها جيدًا ، حتى لا يراها رجال الإسعاف ، إذا ما أتوا لحمل (تيبالدى) ..

وسرعان ما أتى رجال الإسعاف .. وأجروا لـ (تيبالدى) الإسعافات الأولية ، ثم حملوا الرجل المصاب ..

كانت أم (لويجى) قد خرجت من حجرتها أخيرًا عندما جاءت عربة الإسعاف ، وفتحتُ لهم أنا الباب .. أحسب أنها ظنت أن عربة الإسعاف قد جاءت لتحمل (لويجى) ..

كانت تحملق وقد فتحت عينيها على سعتهما ، وهى ترى جسد زوجها الثقيل محمولاً على النقالة ..

نعم يا عزيزتى .. إن عجائب هذه الحياة لا تنتهى .. فالصياد قد يصبح فريسة .. والظالم قد يصبح ضحية .. وسبحان مغيّر الأحوال .. يغير ولا يتغير ..

وسرعان ما غيرت أم (لويجى) ثيابها ، وانطلقت وراء سيارة الإسعاف بسيارتها ..

قلت لرجال الإسعاف : إن زوج أمى قد صعد إلى غرفتى وفجأة انهار ساقطًا على الباب فكسره ..

هكذا .. وأنى كنت نائمًا ، ولم أحس بشىء حتى أحسست بصوت فتح الباب ، وسقوط أبى المسكين على الأرض .. فقمت جريًا واتصلت بالإسعاف ..

بالتأكيد تعجب رجال الإسعاف من أن الصبى .. أنا بلا فخر .. قد اتصل بالإسعاف دون أن يخطر أمه .. ولكنهم لا بد قد شموا رائحة الخمر النفاذة التى تفوح من فم (تيبالدى) وثيابه .. وكوّنوا استنتاجاتهم الخاصة ..

كنت قد استبدلت الطبقة الخشبية تحت الألواح الخشبية ووضعت مكانها أوانى مسطحة مملوءة بالطين ، وغرست فى الطين بشكل رأسى قطعًا من البوص ، كل منها فى حجم لا يزيد على عقلة الإصبع ..

كنت قد قطعت البوص بسكين حادة بشكل مائل كما نص الكتاب ، ونقعت البوص فى سم زعاف .. البول البشرى الطازج .. لمدة تقل على اليومين .. ولو كنت نقعت البوص فى البول لمدة تزيد على الثلاثة أيام .. لحملت الإسعاف جثة هامدة ..

وبمجرّد أن داس (تيبالدى) على الأرض .. اخترق البوص السام لحم قدمه من الأسفل ، مما أفقده الوعى لساعته ..

بالطبع لم أكن أريد قتل (تيبالدى) كنت فقط أريد أن أسبب له التهابًا فى ساقه يبعده عنى لأطول فترة ممكنة .. وأسهم فى خلق ارتباطات شرطية تبعده عن غرفتى وقت سكره ..

بعدما حملت الإسعاف المسكين إلى المستشفى ، قمت من فورى أزيل أثر جريمتى ..

فأزلت أقماع البوص .. وأعدت الطين للحديقة ، ونظفت الأوانى التى كان الطين فيها .. وألقيتها فى القمامة .. وأعدت حشو الطبقة تحت الخشبية ، وثبتّ القطع الخشبية العلوية بإحكام .. ثم أسرعت إلى الحديقة ، وأحرقت قطع البوص فى نار أشعلتها خلف المنزل ..

وعندما عادت أم (لويجى) بعد ساعتين من المستشفى .. كان الملاك (لويجى) غارقًا فى سُبات عميق .. أيقظتنى منه أم (لويجى) لتسألنى عما حدث .. وأخبرتها أننى كنت نائمًا ، وفجأة أحسست بأن (تيبالدى) يكسر الباب ؛ لأنه كان مغلقًا بالمزلاج .. وبمجرّد أن كسر الباب أحسست بسقوط جسده على الأرض .. فأسرعت أتصل بالإسعاف ..

فى الصباح .. نزلت منشرح الصدر .. فلم تعد هناك وحوش فى البيت .. وجلست أتناول طعام الإفطار بشهية مع أم (لويجى) ..

فى اليوم التالى .. أخبرتنى أم (لويجى) أن أبى (تيبالدى) المسكين .. قد أصيب بالتهاب قوى فى ساقه .. وأن الأطباء أكدوا أنه لا بد قد داس على شىء فى الحديقة أدى إلى هذا الالتهاب قبل أن يصعد ليطمئن على (لويجى) الصغير ..

ولم يكن (تيبالدى) فى حالة من الوعى تمكنه من إدراك ما حدث له ، حيث إنه كان واقعًا تحت تأثير الخمر ..

أى أن (تيبالدى) لم يحس بما فعلته به ..

كل ما أخشاه أن يكون قد أدرك قبل سقوطه ما حدث له .. ولكن أم (لويجى) قالت : إن الأطباء يرجحون أن العزيز (تيبالدى) سيضطر لقضاء شهرين أو ثلاثة فى المستشفى ؛ حتى يتمكنوا من القضاء تمامًا على الالتهاب .. وأن الأطباء

ليسوا متفائلين بإمكانية سيره بشكل طبيعى قبل عام على الأقل .. وأنه سيضطر إلى الاعتماد على عكاز ..

وهززت رأسى حزنًا وأسى .. ثم انطلقت كى ألحق بأتوبيس المدرسة ..

أما المشكلة الأكبر التى بقيت أمامى بعد أن ابتعد (تيبالدى) عن المنزل .. فكانت بالطبع الصبيان الأكبر سنًا فى المدرسة ..

توسلت إلى أم (لويجى) أن تجعلنى أغير مدرستى وألتحق بمدرسة أخرى ، ولكنها رفضت .. وقالت :

ـ إن علىّ أن أقص ما يضايقك على مس (هتشنسون) لتتصرف ..

لم تكن مس (هتشنسون) بالطبع تنفع فى شىء كهذا ..

بعد ثلاثة أيام أجبرتنى عصابة الأربعة على أن أسرق معهم متجرًا آخر ..

وتكرّر هذا مرارًا بعد ذلك .. لم تكن هناك كاميرات أمان هذه المرّة .. ولكن يبدو أننى أوفر مجهود عضو خامس فى العصابة ..

أصبحت أخاف من الذهاب للمدرسة .. وأبقى فى البيت بدعوى المرض ، إلى أن هددنى (ماكورميك) بوجوب ذهابى للمدرسة ، وإلا ضربونى ..

كنت قد أصبحت ألزم غرفة الكمبيوتر بالمدرسة طوال الوقت تقريبًا .. فقد كانت هناك العديد من كتب الكمبيوتر المثيرة بالمكتبة العامة ، ومكتبة المدرسة .. وكنت أنفذ ما فيها على الكمبيوتر .. خاصة أن كمبيوتر المدرسة متصل بالأنترنت والشبكات الدولية ..

كان (تيبالدى) يمتلك كمبيوترات فى البيت ، كنت كذلك أعمل عليها ، وأتسلى باللعب عليها فى أثناء فترة غيابه ، التى كنت أتمنى أن تطول ..

وفى أحد الأيام كنت أتحدث مع معلمة الكمبيوتر عن كلمات السر ، التى تستخدم للدخول على المناطق المحظورة المختلفة من شبكة الأنترنت والشبكات الداخلية للهيئات المختلفة ..

أخبرتنى مدرسة الكمبيوتر عن رقم السر الخاص بملفات المدرسة .. وهى ترينى كيف أستعرض البيانات الخاصة بى ، والخاصة بدرجات (لويجى) السابقة ، والمعلومات عنه كوسيلة لشرح طريقة استعراض المعلومات على الشبكات المختلفة ..

كانت معلمة الكمبيوتر تحبنى كثيرًا وتفضلنى على من عداى من الأطفال ، بسبب سرعة تعلمى ، وتصرفاتى المسئولة ..

دخلت مع المعلمة وهى تشرح لى على الملفات الداخلية للمدرسة .. وأخذنا نتصفح بعض البيانات .. وفى النهاية ضحكت المدرسة وقالت :

ـ لم يعد إلا ملفات المدرسين ..

وهنا لمعت الفكرة فى رأسى .. نعم .. نعم .. لم يعد إلا ملفات المدرسين ..

فى ذلك اليوم رحلت إلى البيت ، حيث اخترقت بكمبيوتر البيت ملفات المدرسين ..

ودخلت من شبكة المدرسة منتحلاً اسم أحد المدرسين ، ثم اخترقت شبكة وزارة التعليم التابعة للولاية ، ودخلت على بيانات المدرسين .. واستخدمت كلمة السر التى تعطينى مميزات خاصة عند الدخول فى شبكة وزارة التربية والتعليم ..

غيّرت رقمًا واحدًا فى كل رقم للضمان الاجتماعى لكل من المدرسين بالمدرسة ، وكان عددهم عشرين مدرسًا ومدرسة ، يتقاضون أجورهم على شكل شيكات مرسلة على عنوان المدرسة مرة كل أسبوعين ..

كان معنى تغييرى لأرقام الضمان الاجتماعى ، أن الشيك الذى يجب أن يصدر خلال أسبوع بأجور هؤلاء المدرسين لن يصدر هذه المرة ..

فبسبب تعارض المعلومات بين شبكة الهيئة التى تدفع الأجور وشبكة وزارة التعليم بالولاية ، لن يمكن صرف مرتبات المدرسين عن الأسبوعين الأخيرين ..

لن يصرف المدرسون أجورهم .. وبالطبع سوف يتقدمون بشكاوى لعدم استطاعتهم صرف أجورهم .. وسوف تجرى عملية فحص للبيانات تدل على خطأ الكمبيوتر .. ويتم إصلاح الخطأ ..

وقبل ميعاد صرف الشيك التالى بأسبوع .. دخلت على الشبكة ، وقمت بنفس العملية ..

وبعدها بيوم ، استغللت حجمى الصغير .. ودخلت حجرة سكرتيرة المدرسة فى أثناء غيابها ، حيث أخذت عشرين ورقة من الأوراق التى تحمل شعار المدرسة ..

وفى تلك الليلة .. فى مكتب (تيبالدى) .. طبعت على تلك الأوراق طلبات من مختلف مدرسى المدرسة ..

كان الجميع يلتمسون أن يتم إرسال صرّاف من وزارة التعليم بالولاية كى يقبضوا مرتباتهم المتأخرة فى المدرسة نقدًا .. وذيلت الأوراق بتوقيعات المدرسين مطبوعة على الخطابات .. ثم طبعت أظرف بعنوان القسم المختص بالأجور بالولاية وأرسلت الخطابات بالبريد ..

بالطبع .. كان هذا طلبًا غير مسبوق .. ففى عصر تكنولوجيا المعلومات .. والاتصالات .. لم يعد أحد يطلب أن يقبض مرتبه نقدًا ..

وأرسلت بالبريد الإلكترونى من المدرسة رسالة موقعة من مدير المدرسة ، يطلب من الهيئات المختصة إرسال صراف بالمرتبات المتأخرة للمدرسين .. واعتذر مدير المدرسة عن هذا الطلب غير التقليدى بأن هذه هى رغبة معظم المدرسين ..

بعد أربعة أيام .. دخلت مس (هتشنسون) الفصل وهى متهللة الوجه .. وكنت أعرف السبب ..

لقد أرسلت الهيئة المختصة بصرف الأجور تنبئ المدرسين بأنها سترسل صرافًا بناء على طلبهم ..

وعلى الرغم من أن المدرسين لم يطلبوا .. إلا أن انتهاء المشكلة .. واقتراب ميعاد الحصول على المرتبات المتأخرة .. قد جعل الجميع يغفلون عن أن أحدًا منهم لم يطلب إرسال صرّاف للمدرسة ..

فى اليوم التالى .. كانت مس (هتشنسون) قد طلبت منا كتابة موضوع تعبير عن رحلة قمنا بها .. ولكنى طلبت الإذن بقراءة موضوع بعنوان (الفرص الضائعة) ..

ذكرت فى موضوع التعبير أن هناك الكثيرين من الذين يبحثون عن الثروة والمال فى أماكن بعيدة ، ويستنزفون موارد فقيرة أصلاً ، بينما توجد تحت أرجلهم فرص رائعة ، ومصادر مالية رهيبة ..

وضربت مثلاً على ذلك باللصوص الحمقى ، الذين يسطون على محل تجارى ..

والمحلات التجارية عادة ترسل أموالها ساعة فساعة إلى البنوك .. بحيث إنهم يوم يقعون على مبلغ كبير يسرقون ألفًا أو ألفين .. ويصرفونها فى أيام ، ثم يعودون محتاجين إلى السرقة مرة أخرى ، بينما توجد مئات الفرص للسرقة من حولهم لأشياء أكثر بكثير من ألف دولار وهم يهملونها ..

كانت مس (هتشنسون) متضايقة تمامًا من المقال ، وقاطعتنى قائلة :

ـ يا (لويجى) يبدو من المقال وكأنك تشجع السرقة ..

وأجبتها :

ـ كلا يا مس (هتشنسون) .. إننى فقط أحارب الحمق .. وإذا كنتِ مستاءة من الموضوع فلن أكمل قراءته ..

وسرعان ما شاع فى فصول المدرسة الابتدائية خبر موضوع التعبير الذى كتبته ، ولكنى رفضت الحديث عن هذا الأمر .. وقضيت بقية اليوم ألعب وأتحدث مع (جرانت) عن كرة السلة ..

دفعت فى ذلك اليوم لـ (ماكورميك) بالدولارين .. وركبت الباص ..

وفى اليوم التالى .. قضيت اليوم الدراسى كله مع (جرانت) .. ولكنى حين ذهبت للحمام لتسليم الدولارين لـ (ماكورميك) .. انقض علىّ الأخير وسألنى :

ـ ماذا كنت تقصد فى موضوع التعبير الذى كتبته بالأمس ؟

وأجبته وأنا أتظاهر بالنسيان :

ـ أى موضوع تعبير تقصد ؟

فأجاب :

ـ ذلك الموضوع الذى تحدثت فيه أيها الأبله عن الفرص الضائعة .. لقد حدثنى أحد زملائك أن هناك من يغامرون كثيرًا للحصول على ألف دولار ، بينما يمكنهم الحصول على أضعاف هذا المبلغ بسهولة .. عَمَّ كنت تتحدث ؟

وأجبته :

ـ الأمثلة كثيرة .. فهناك مثلاً بعد الغد صرّاف سيأتى للمدرسة حاملاً رواتب المدرسين .. ولن يكون ما يحمله هذا الصرّاف يقل عن أربعين ألف دولار .. وأحسب أنه سيبقى فترة فى حجرة الناظر ، قبل تسليم المدرسين مرتباتهم ..

وصاح (ماكورميك) :

ـ هل تعنى أن المدرسين يقبضون مرتباتهم من المدرسة كل شهر نقدًا ..

وأجبته وأنا أتظاهر بالاندهاش :

ـ نعم .. ألم تكن تعرف ذلك ..

وأجاب :

ـ ومن أين سمعت هذا الكلام الغريب ..

أجبته :

ـ كان هناك اثنان من المدرسين يتحدثان فى الحمام أول أمس .. وسمعت حديثهما بالصدفة ..

وسألنى (ماكورميك) بشك :

ـ من هما ؟

وأجبته :

ـ لا أعرف .. فقد كنت داخل كابينة الحمام والباب مغلق .. وخرجا قبل خروجى منها ..

ودفعنى (ماكورميك) إلى الحائط وهو يقول :

ـ إنك تكذب ..

وأجبته :

ـ ولماذا أكذب ؟ الأمر بسيط .. عليك أن تنتظر إلى ما بعد الغد وسترى ..

★ ★ ★

١٥ ـ مس (هتشنسون) ..

وفى اليوم المشهود صباحًا وقبل بدء الحصص .. كانت سيارة (ماكورميك) تقف بجانب المدرسة .. عادة ما كان (ماكورميك) يأتى بالباص .. ولكنه اليوم أتى بسيارته ..

وسرعان ما جذبنى (ديفيز) من أمام المدرسة وانتحى بى (ديفيز) جانبًا وقال :

ـ اذهب إلى (ماكورميك) وسيعطيك حقيبة ثقيلة .. تحملها إلى دولاب (كول) بجانب منطقة الإدارة ..

وهززت رأسى بالإيجاب .. يجب تسهيل العملية لهؤلاء الفتية .. وذلك لضمان تنفيذها بكفاءة ..

كنت أرتدى قفازى .. وذهبت إلى (ماكورميك) الذى أعطانى حقيبة مغلقة .. كنت أعرف ما بها .. وحملتها إلى دولاب (كول) الذى كان ينتظرنى بجانب دولابه المفتوح .. أعطيته الحقيبة واختفيت عن الأنظار ..

وبعد حوالى نصف ساعة وصلت سيارة أمان ، من تلك المغلقة ، والمخصصة لحمل النقود .. وصاحب أحد الحارسين رجلاً يحمل حقيبة عمل إلى مبنى الإدارة ، حيث تركه وخرج .. ثم مضت سيارة الأمان ..

انطلقت من فورى إلى معمل الكمبيوتر ..

نصف ساعة وخرج (ماكورميك) و (كول) و (ديفيز) وقد لبسوا أقنعة وهم يجرون ، وقد لبسوا ثيابًا غيرالتى كانوا قد أتوا بها فى الصباح كتلاميذ .. ووضعوا أسلحتهم داخل الحقيبة التى أوصلتها لدولاب (كول) .. وحملوا حقيبة الموظف ..

لم يجد الثلاثة (باررىش) يقف بالسيارة كما هو متفق عليه .. وإنما وجدوا سيارة رجال الشرطة ..

فقد كان (باررىش) ينتظر بالسيارة ـ دائرة المحرك ـ حين شاهد سيارة الشرطة قادمة .. فأقلع بسيارته من فوره تاركًا زملاءه لمصيرهم المحتوم ..

وبمجرّد رؤيتهم لسيارة الشرطة .. ألقى (ديفيز) بحقيبة الأسلحة التى يحملها .. فانتثرت على الأرض .. بشكل يدل فورًا على أن هؤلاء هم اللصوص .. وانطلقوا يجرون فى الاتجاه المضاد .. وأسرع رجال الشرطة يجرون وراءهم ويقبضون عليهم ..

كان الثلاثة قد ربطوا الصرّاف وكمموه فى حجرة الناظر وهربوا بالمبلغ ..

أما كيف عرفت الشرطة بوجود عملية السطو ؟

فقد أرسلت لدائرة الشرطة رسالة بالبريد الإلكترونى ، كنت قد خزنتها سابقًا على جهاز الكمبيوتر لإرسالها .. وأرسلت لهم رقم تليفون مسئول وزارة التعليم ، الذى أرسل الصرّاف ليسهل الاستعلام لو استغربوا بلاغى ..

كان الأربعة يرتكبون جرائمهم وهم مقنعون ، ويدرسون الأماكن التى سيسرقونها سلفًا ، ويبتعدون عن كاميرات التصوير .. ولهذا فلم يكن الإبلاغ عنهم يكفى .. بل كان لا بد من القبض عليهم متلبسين ، وهم يحملون الغنائم .. ولم يكن فى إمكانى معرفة الأماكن التى سيسرقونها فى المرة التالية أو مواعيد السرقة .. ولهذا قمت بإعداد هذه الخطة الطويلة ؛ لتحديد مكان وزمان السرقة ، حتى أستطيع الإبلاغ عنهم فيتم القبض عليهم متلبسين ..

لم يبق إلا الإبلاغ عن سرقاتهم السابقة ، لكى تصدر عليهم المحكمة حكمًا يبعدهم عن طريقى تمامًا ..

لم يبق إلا أن أعترف لمس (هتشنسون) بكل شىء لتخبر الشرطة .. أظن أن الأمر سينتهى خلال خمس دقائق ..

فى نهاية الحصة الأخيرة قبل راحة الغداء تحدثت مع مس (هتشنسون) بصوت هامس أننى أريد أن أحدثها عن أمر سرى للغاية فى فترة الراحة ..

بعد انتهاء الحصة بقيت مس (هتشنسون) فى الفصل .. واقتربت منها بتردد ، وأنا مطرق للأرض ، وأخذت أتظاهر بأنى أبكى ..

ونزلت مس (هتشنسون) إلى مستوى (لويجى) لتجلس القرفصاء ، وقالت وهى تمسح دموعى بحنان :

ـ (لويجى) .. لماذا تبكى ؟

وأجبتها بصوت متقطع من البكاء : هناك شىء فعلته يا مس (هتشنسون) ..

وابتسمت مس (هتشنسون) وقالت بلهجة نهائية :

ـ لا عليك يا عزيزى (لويجى) .. أنا واثقة أن الله سيغفر لك ..

أنا لم أكن أتحدث عن هذا يا مس (هتشنسون) .. أنا أريد منكِ أن تسألينى عن الذنب ..

وابتسمت مس (هتشنسون) ومسحت على رأسى بحنان ، ثم اعتدلت فى وقفتها .. لقد انتهى الأمر ..

وحاولت ثانية .. فقلت وأنا أشرق بدمعى :

ـ أنا أخاف أن يقبض علىَّ رجال الشرطة يا مس (هتشنسون) ..

كانت نظرة مس (هتشنسون) أطول قليلاً هذه المرة وهى تقول :

ـ إن رجال الشرطة لا يقبضون على الصغار مثلك يا (لويجى) ، فاطمئن ..

لم يعد الرفق يجدى معها .. يجب أن تسألنى عما حدث .. وإلا سقطت الخطة بأكملها ..

وقلت بخشونة وأنا أنظر لها من طرف خفى :

ـ تبعًا لقانون (نيويورك) فإن أصغر سن يمكن أن يحاكم فيه المرء كشخص بالغ ، ويتلقى عقوبة البالغ هو سبع سنوات .. وأنا فى الثامنة يا مس (هتشنسون) ..

كانت مس (هتشنسون) قد قضمت قطعة كبيرة من الشطيرة التى كانت تأكلها .. ويبدو أن هذه القطعة قد وقفت فى حلقها فجأة حين استمعت إلى ما قلت .. نعم يا عزيزتى .. الصغير (لويجى) يعرف بعض الأشياء ..

تخلصت بالسعال من حالة دخول الطعام على القصبة الهوائية وقالت :

ـ ماذا قلت يا (لويجى) ؟

لقد اختارت مس (هتشنسون) فى هذا اللقاء المهم أن تكون صماء أيضًا ..

وأعدت ما قلت .. ونظرت إلىَّ مس (هتشنسون) وقالت :

ـ إذن فالأمر خطير يا (لويجى) مادمت تعرف ذلك .. ما الأمر يا (لويجى) ؟

وحكيت لها بصوت باكٍ كيف أن (ماكورميك) والآخرين كانوا يجبرونني على سرقة المتاجر معهم .. وكيف أنهم أخبرونى أنى لو تحدثت إلى رجال الشرطة فسوف يقولون إننى كنت آخذ نصيبًا من الغنيمة ..

أقلقنى ما قالته مس (هتشنسون) بعد ذلك ، فقد قالت :

ـ وهل كنت خائفًا يا (لويجى) ؟

أجبتها وأنا أحنى برأسى إلى الأرض وكأنى مغلوب على أمرى :

ـ نعم .. فلو اتفقوا على أنى سرقت معهم فقد أذهب إلى السجن ..

وقالت مس (هتشنسون) :

ـ هل حدثت أحدًا من رجال الشرطة عن هذا ؟

وأجبتها وأنا أطرق برأسى إلى الأرض ، وكأنى أحس بالذنب :

ـ هل تظنين أنه من الأفضل أن أتحدث إلى رجال الشرطة يا مس (هتشنسون) ؟

لقد كنت أريدها هى أن تقترح الاتصال برجال الشرطة ، وأن تتصل بهم .. بحيث يكون الاتصال برجال الشرطة فكرتها هى ..

وردّت مس (هتشنسون) :

ـ أواثق أنك لم تتصل برجال الشرطة يا (لويجى) .. من الذى أرسل رسالة بالبريد الإلكترونى إلى الشرطة ؟ !

إن إخبار مس (هتشنسون) أنى أعرف قانون (نيويورك) كان خطوة سيئة .. لقد بدأ إحساسها بالحذر يستيقظ .. وبدأت تفكّر ..

وأجبتها :

ـ لا أعرف يا مس (هتشنسون) .. لعله مواطن صالح ..

أجابت مس (هتشنسون) :

ـ لقد قال رجال الشرطة إن الرسالة أرسلت من المدرسة .. وقد أرسلها شخص ذكر لرجال الشرطة اسم المسئول فى الوزارة الذى أرسل الصرّاف ..

وتقول مدرّسة الكمبيوتر :

ـ إنك تعمل على الكمبيوتر كالحلم .. وإنها تتوقع لك فى يوم من الأيام أن تصبح أحد كبار مبرمجى الكمبيوتر .. هل أنت مواطن صالح يا (لويجى) ؟

الرجال يحبون المرأة لجمالها أو روحها المرحة أو لذكائها .. أما أنا فأحب مس (هتشنسون) للثلاثة معًا ..

أطرقت إلى الأرض وأنا أحس بالحبور يتسلل إلى صدرى .. سأعترف لها وستقدر موقفى .. ولكن هناك شيئًا فى صدرى كان يقول :

ـ كلا يا (أيمن) .. تذكّر قانون (نيويورك) .. إنك لا تريد أن تهرب من براثن (تيبالدى) لتقع فى براثن ألف (تيبالدى) ..

وقلت بصوت هادئ وأنا أطرق برأسى إلى الأرض وكأنى لا أفهم ما تلمح إليه :

ـ نعم يا مس (هتشنسون) .. أنا مواطن صالح ..

أبلغت مس (هتشنسون) رجال الشرطة فهذا واجبها ..

وأخبرتهم أنا بكل شىء : الأماكن التى سرقناها والتواريخ .. والثياب التى كانوا يرتدونها وكنت أرتديها .. كل شىء ..

وطُلب منى أن أكون شاهدًا فى المحكمة ..

أتى ما كنت أخافه ..

★ ★ ★

١٦ ـ المحاكمة ..

أتى يوم المحاكمة .. ذهبت قبلها للحلاّق .. وحلقت شعرى بحيث يبدو قصيرًا ومهذبًا .. ويضفى علىّ مظهر ابن الناس المحترم ..

وارتديت ثيابًا سوداء كلاسيكية تظهر :

أولاً : الرقى ..

ثانيًا : تقلل بقدر الإمكان من حجم (لويجى) ليبدو صغيرًا جدًا ، وبالتالى بريئًا جدًا ..

ثالثًا : توحى للقاضى والمحلفين أن (لويجى) الصغير كان يختلف شكلاً وموضوعًا عن عصابة الأربعة المقدمين للمحاكمة ..

لم أرتد حلة ورباط عنق ، لأن هذا قد يوحى بأن الشاهد مُدرب على ما يفعل .. بل ارتديت ثيابًا هادئة لا تجعل (لويجى) محط أنظار المحكمة ..

ربما نجحت فى التسلل خارج القضية بالبقاء تحت مستوى النظر ..

طلب منّى القَسَم .. ولكنى رفضت ، وسألنى القاضى :

ـ لماذا ؟

أجبته :

ـ قالت أمى : إن الأولاد المؤدبين يجب ألا يقسموا ..

وردّ القاضى :

ـ ولكن إذا لم تقسم .. فلا يمكن أن تشهد ..

ورددت وسط ضحك الحاضرين :

ـ إذن فلا داعى لأن أشهد ..

وعبثًا حاولوا أن يجعلونى أقسم .. ولكنى رفضت بشدّة .. فالقسم مسئولية كما تعلمون ..

وفى النهاية .. قرروا أنه يمكن لـ (لويجى) أن يشهد بدون قسم ، بما أن سنه لا تسمح له بأن يفهم مسئولية وأهمية القسم بشكل كامل ..

الغريب أن محامى المتهمين كان يصر كذلك على أن يشهد (لويجى) .. مع أن من مصلحته أن يتم إلغاء أحد شهود النيابة ..

بدأ المحامى فى مرافعته التمهيدية فى الهمز واللمز والإيحاء بأن الأمر كله قد يكون وسيلة لإيقاع الشباب الأربعة فى فخ نصبه لهم شخص قصير مكير ، استغل صغر سنه وأن أحدًا لا يشك فيه ، فى تدمير حياة الفتيان الأربعة ..

ولا داعى لأن أخبركم من هو القصير المكير صغير السن .. فأنتم تعرفونه ..

بدأ قلبى يدق بعنف شديد ، وأحسست بالطعام الذى أكلته صباحًا فى فمى حين استدعونى للشهادة ..

كنت مستعدًا للدفاع عن حياة (لويجى) .. عن حياة الجسد الذى أسكنه .. فلو نجح المحامى .. فسوف يتم سجن (لويجى) .. وأنا أعرف الناس بأن جسد كجسد (لويجى) لا يمكن أن يحتمل السجن ..

كنت أحد الشهود المقدمين من الادعاء ..

وجلست ، وأدليت بشهادتى عن طريق الإجابة على أسئلة وكيل النيابة ..

وقصصت على المحكمة كيف أجبرونى على السرقة .. وكيف كانت السرقات تتم ..

وعندما سألنى وكيل النيابة عن دورى يوم جريمة السرقة بالمدرسة أخبرته أننى حملت حقيبة لم يكن ظاهرًا ما بها ، من سيارة (ماكورميك) إلى دولاب (كول) بجانب الإدارة ..

كان المتهمون الأربعة جالسين وقد لبسوا حُللاً رجالية أنيقة وربطات عنق ، وإن حافظوا على شعرهم الطويل ، وتدلى حلق طويل من الأذن اليسرى لـ (باريش) ..

وبدا الأربعة كأربعة شباب منضبطين وهم جالسون فى منتهى الهدوء يراقبون أحداث المحكمة .. لا بد أن هذا تم نتيجة لنصيحة محاميهم .. فهو لا يبدو رجلاً سهلاً ..

لم تحضر أم (لويجى) المحكمة .. فقد كانت تزور زوجها العزيز (تيبالدى) فى المستشفى ..

وكان الادعاء قد تحاور مع أم (لويجى) التى حاولت إثنائى عن الشهادة ..

ولكن وكيل النيابة قال إنه فى حالة عدم شهادتى .. فقد تسقط عنهم تهمة سرقة المحلات التجارية ، حتى مع وجود شهود آخرين من العاملين فى هذه المحلات ، لأنى أنا الذى كنت أسرق معهم ..

وقررت أنا أن أشهد .. فأنا كما تعرفون .. مواطن صالح ..

كان محامى الفتيان رجلاً طويلاً نحيفًا .. ولكن أكثر ما يميزه كان يديه الطويلتين ذواتى الأصابع النحيلة الطويلة التى تتحرك وكأنها أصابع هيكل عظمى .. وكأنها ليست جزءًا من جسده ..

كان هذا المحامى يحرك يديه فى وجه الشخص ، الذى يستجوبه ويميل نحوه .. وكان هذا على ما أظن جزءًا من أسلوبه فى إخافة الشهود .. أو ربما إشعارهم بعدم الراحة .. والضغط عليهم ..

كنت أجلس فى مقعد الشهود ، وقد وضعوا وسادة تحت ظهرى لأظهر فى مستوى الناظر ..

ومال محامى الدفاع نحوى وهو يقول :

ـ (لويجى) .. لقد فهمت أن هؤلاء الشباب قد أجبروك على أن تسرق معهم المحلات .. كم مرة قمتم بسرقة المحلات معًا ؟

ورددت عليه :

ـ لا أتذكر ..

ومال المحامى نحوى .. وصوته كصرير جنزير لم يتم تشحيمه ، ويداه فى أقرب مكان من جسدى ..

إنه يغزو الفراغ المسموح به لى .. لإشعارى بأنى فى متناوله .. وأنه يستطيع الوصول إلىّ ..

وقال المحامى :

ـ هذه الجزئية بالذات لا تذكرها .. عجيب !! لقد لاحظت أنك قوى الذاكرة بشكل كبير بالنسبة لبقية التفصيلات ..

اعترض وكيل النيابة على هذه الملحوظة .. وقبل القاضى اعتراضه ..

وعاد محامى الدفاع يسأل :

ـ فلنحاول إنعاش ذاكرتك .. هل ذهبت معهم للسرقة خمس مرات ، أم ست مرات ، أم أكثر ؟

وقلت :

ـ لا أتذكر بالضبط .. وإن كنت أظن أنها أكثر ..

وردّ المحامى :

ـ أجبروك أكثر من ست مرات على السرقة معهم .. لماذا لم تخبر أحدًا بالأمر ؟

وأجبته :

ـ لقد أبلغت عن كونهم يضربوننى ويأخذون مالى من قبل .. وقبضت عليهم الشرطة وتم إطلاق سراحهم .. وعادوا ليضربونى وينتقموا منى .. وخفت أن يتكرّر هذا ثانية ..

أعتقد أن المحامى قد أدرك أنه قد سأل السؤال الخطأ .. فمن الثابت فعلاً .. وإن لم يذكر ذلك وكيل النيابة .. أن (لويجى) قد ضُرب من الأربعة ، وتم الإبلاغ عنهم .. ولكن المحكمة السابقة أطلقت سراحهم ..

قلت الجملة الأخيرة وأنا أنظر للقاضى :

ـ عساك ألا تطلق سراحهم فيعودوا وينتقموا منى ..

واتحنى نحوى المحامى ، وفى عينيه نظرة تهديد واضحة جعلتنى على الرغم منى أتراجع فى مقعد الشهود الكبير على حجم (لويجى) وقال :

ـ سأسألك أسئلة ، وأجب بنعم أم بلا بسرعة .. هل تفهم ..

ولم أرد .. بل هززت رأسى بالإيجاب ..

وعاد المحامى يسأل بسرعة :

ـ ألم تأخذ نصيبك من الأسلاب عن السرقات السابقة ؟

وأجبته :

ـ أنا لا أفهم السؤال ؟

ورد المحامى وهو ينفخ بنفاد صبر :

ـ ألم يعطوك مالاً لاشتراكك معهم فى السرقات ؟

وأجبته وأنا أتعمد الإطالة :

ـ كلا .. أنا لم آخذ أى مال منهم .. بل كانوا هم يأخذون مصروفى كل يوم .. وإلا ضربونى ووضعوا رأسى فى المرحاض ..

كان المحامى يضرب بيده على المنضدة أمام كرسى الشهود ، فى أثناء جملتى الأخيرة محاولاً إحداث صوت يغطى عليها ..

وردّ المحامى :

ـ الإجابة بنعم أم لا فقط .. هل تفهم ؟

ورددت عليه :

ـ لقد سألتنى سؤالاً وأنا أجبتك ..

وردّ المحامى ثانية :

ـ ولكن المتهمين الأربعة قد أقسموا فى شهادتهم أنك تحصل منهم على مبالغ مالية ..

وأجبته وسط ضحك الحضور :

ـ وهل تصدقهم ؟ إنهم لصوص ..

وردّ المحامى :

ـ ولكنهم أربعة شهود شهدوا تحت القسم أنك قد حصلت منهم على مبالغ مالية ..

وأجبته وأنا أتظاهر بالدهشة :

ـ ما معنى شهدوا تحت القسم أو فوق القسم .. إنهم لصوص .. وطبيعى أن يكذبوا ..

كان الحضور يضحكون .. وكنت أعرف أن مرجع هذا الضحك إلى التناقض بين حجم (لويجى) الصغير والحديث الذى يقوله .. فلو صدر هذا الحديث عن شخص بالغ لما ضحكوا ..

وردّ المحامى :

ـ كانوا يسرقون .. وأنت سرقت معهم ؟ أليس كذلك ؟

أجبته :

ـ لقد لووا ساقى وقالوا إنهم سيكسرونها .. ووضعوا السكين على حافة فمى وقالوا إنهم سيقطعون لسانى ..

ماذا كنت تريد أن أفعل ؟ لقد أرغمونى ، ولهذا سرقت معهم .. ولكنى شخصيًا لا أقر السرقة ..

ورد المحامى :

ـ أرى أن لك أفكارًا قوية ، على الرغم من سِنّك الصغيرة ..

وأجبته :

ـ نعم ..

ورد المحامى :

ـ هل صحيح يا (لويجى) أنك أنت الذى أخبرت الأربعة بأن هناك صرّافًا سيأتى للمدرسة ويحمل نقود المدرسين ..

وأجبته :

ـ نعم ..

وأجاب المحامى :

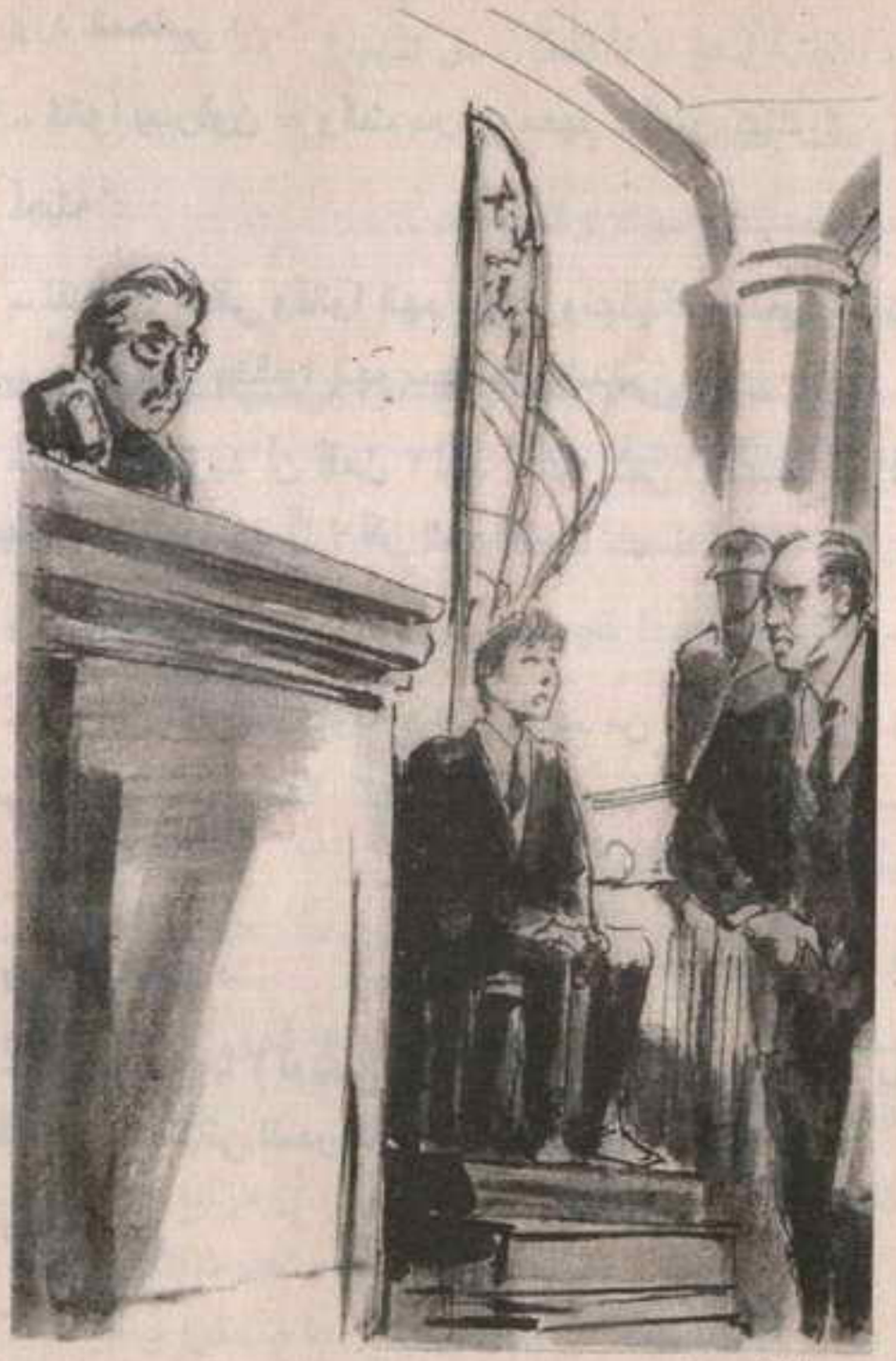

ورد المحامى :

ـ أرى أن لك أفكار قوية ، على الرغم من سِنُّك الصغير ..

ـ صحح لى معلوماتى إن كنت مخطئًا .. لقد أخبرتهم عن أن هناك مبلغًا كبيرًا من المال سيأتى للمدرسة .. وعاونتهم على السرقة .. ثم بعد أن سقطوا قمت بالإبلاغ عن سرقاتهم السابقة ..

هل تعرف من هو (يهوذا) يا (لويجى) ؟

أجبته وأنا أطرق برأسى :

ـ نعم ..

وعاد المحامى يقول :

ـ من هو (يهوذا) يا (لويجى) ؟

أجبته :

ـ إنه شخص يأخذ أموال الأشخاص الذين يتلقون إتاوات من غيرهم ليؤذى شخصًا جيدًا .. إنه أنت ..

ورد المحامى :

ـ ماذا ؟

وأعدت ما قلت ..

كان الحضور فى المحكمة يبدون وكأنهم قد أتوا لحضور مسرحية كوميدية .. الكل يضحك ..

ولكن سرعان ما توقف الضحك ..

فقد انهمرت فى البكاء .. وصوتى فى الميكروفون يخرق الآذان .. وقد تحول نشيجى بصوت (لويجى) الصغير الضعيف إلى عويل وأنا أقول للمحامى :

ـ إنك لا تدرى ما الذى كان يحدث .. لقد كدت أقتل نفسى بسبب ما يفعلونه بى كل يوم .. والأشياء المخجلة التى يجعلوننى أفعلها ..

لقد فكّرت أنهم لو حصلوا على الكثير من المال مرة واحدة .. فقد يكفوا عن السرقة للأبد .. وكنت سأعطى لمس (هتشنسون) مصروفى كله ..

★ ★ ★

أنا ممثل بارع .. كان يجب أن تروا وجوه النساء الضاحكات الباكيات تأثرًا فى قاعة المحكمة ، والدموع تلمع فى أعينهن تعاطفًا مع الصغير المعذب .. ووجه المحامى الذى فوجئ بما يحدث قبل أن يستطيع منعه .. ووجوه المحلفين وهم ينظرون لعصابة الأربعة ..

لقد أخذت المحامى على حين غرة ، ونسفت قضيته ودفاعه فى ثوان حين انهار (لويجى) الصغير ..

وقال القاضى بلهجة نهائية :

ـ لقد انتهت شهادتك يا (لويجى) .. لن نتعبك أكثر من هذا يا بنى ..

أمرت المحكمة بحبس الأربعة ؛ حتى يبلغوا سن الثامنة عشرة .. على أن يبقى (ماكورميك) بالسجن حتى سن الواحدة والعشرين ..

وداعًا إلى الأبد يا أعزائى الأربعة .. لن أفتقدكم أبدًا ..

لم أكد أنتهى من مشكلة الأربعة حتى عاد (تيبالدى) إلى البيت .. وعلى الرغم من أن الطبيب قد حذره من شرب الخمر والتدخين ، فقد بقى يشرب الخمر ويدخن .. وإن كان لا يسرف فى أيهما ..

كان (تيبالدى) يتحرك على عكاز .. وكنت أحس بالقلق من وجوده المستمر بالبيت .. فلم يكن يغادر المنزل سوى أربع أو خمس ساعات فى اليوم .. وكان يبقى بالبيت بقية الوقت .. أحسب أن بقاءه بالبيت مرجعه إلى أنه لم يعد يذهب إلى الحانة كالعادة ..

مضى شهر على وجود (تيبالدى) فى البيت معظم الوقت .. كنت أغلق على نفسى غرفتى وأقرأ ، أو أجلس مدليًا ساقىّ على حافة إفريز النافذة خارج غرفتى ، وأجلس الليل بطوله أتأمل وأشاهد النجوم فى المساء ، آمنًا أن أحدًا لا يستطيع الوصول إلىّ فى هذا المكان ..

وبما أن الإنسان حيوان اجتماعى .. فسرعان ما سئمت هذه الوتيرة .. خاصة مع ملاحظتى من برج المراقبة فوق سطح البيت ـ حيث أجلس عادة ـ أن هناك أحداثًا مثيرة تحدث فى الأدوار السفلى ..

منع المرض خروج (تيبالدى) من البيت ، وبهذا أصبح هناك من يزورونه لأغراض العمل .. وتم نقل كمبيوتر آخر ومعدات إلى مكتبه قرب باب البيت ولنسمِّه مكتبه الخارجى .. لأن لـ (تيبالدى) مكتبًا آخر داخليًا يطل بابه على حديقة الفيلا من الخلف ..

طوال الوقت الماضى لم أكن خالى البال بما يكفى لأتساءل عن أحوال غيرى .. فقد كنت مشغولاً فى درء عدوان الآخرين علىّ .. ولكنى أصبحت الآن خالى البال تقريبًا .. وعاد فضولى القديم يلازمنى ..

ترى ماذا يعمل (كارلو تيبالدى) ؟ أعنى بالطبع .. ما هى المهنة التى يتعيش منها ؟ أنا لا أعرف ..

حين كنت أعمل على الكمبيوتر الخاص بـ (تيبالدى) .. عثرت على كروت فى مكتبه مكتوب عليها : (كارلو تيبالدى) .. رجل أعمال ، ثم أرقام تليفونات .. وفاكس .. وعنوان على الأنترنت .. وكلها أرقام خارج البيت ..

ما معنى رجل أعمال .. إن أى شخص لا يعمل موظفًا فى شركة ويعمل لحساب نفسه .. يمكن أن يطلق عليه لفظ (رجل أعمال) .. فكل منهم هو رجل أعماله ..

كان (تيبالدى) وزوجته وابنه يعيشون فى بذخ وثراء .. كان (تيبالدى) يمتلك سيارة مرسيدس .. وكانت زوجته تقود سيارة بيجو جديدة .. وكانت تتحلى عند الخروج بمجوهرات مختلفة وثقيلة .. وتلبس ملابس أنيقة ومعاطف فراء ..

لم أكن بالطبع خبيرًا فى المجوهرات ، والفرق بين الفراء الطبيعى والصناعى .. ولكنى أحسب أن المجوهرات حقيقية والفراء طبيعى .. من أين يأتى بكل هذا المال ؟

كذلك بقى عدد زوار (تيبالدى) محدودًا .. وكان كل منهم يأتى للبيت مرة واحدة أو مرتين فقط .. ثم لا يظهر بعد ذلك أبدًا ..

حين قال (قس بنى ساعدة) : مالى أرى الناس يذهبون ولا يرجعون ؟

كان الرجل يتحدّث عن الموت .. ولكن ما قاله هذا الرجل قبل بعثة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ينطبق على جميع زوار (تيبالدى) ..

ووجدت نفسى أردّد قول (القس) :

ـ مالى أرى الناس يذهبون ولا يرجعون ؟

★ ★ ★

١٧ ـ هجوم تيبالدى ..

للأسف أصبح (تيبالدى) يغلق باب مكتبيه بالمفتاح منذ اتخاذه غرفة المكتب الخارجى مقرًا له ..

ولم يتسن لى دخول غرفة المكتب بسبب ذلك ..

كنت أريد أن أقرأ الأوراق المكتوبة بالداخل .. والتى لم أعرها اهتمامًا من قبل .. خطأ فادح .. ولكنى كنت مشغولاً ..

تحسن حالى فى المدرسة ، وأصبحت لا أخاف أحدًا ، مع صداقة (جرانت) وفتيان فريق كرة السلة .. وأصبحت أتفاعل صباحًا برؤية مس (هتشنسون) الجميلة ..

كنت مولعًا بالنظر إليها وتأملها ..

كنت أجلس طوال النهار أتأمل مس (هتشنسون) وحركاتها وسكناتها .. وصوت أم كلثوم يدوى فى أذنى :

نفسى أشكى لك من نار حبّى ..

نفسى أحكى لك على اللى فى قلبى ..

وأقول لك ع اللى سهرنى ..

وأقول لك ع اللى بكانى ..

وأصور لك ضنى روحى ..

وقلة حجمى منعانى ..

وقلة حجمى منعانى ..

كنت أتعمد النظر فى عينى مس (هتشنسون) كلما سنحت الفرصة لذلك .. وكنت أسمع فى أذنىَ شعر شوقى :

وتعطلت لغة الكلام وخاطبت عيناى فى لغة الهوى عيناك

فيما عدا أن لغة الهوى لم تكن تخطر مطلقًا ببال مس (هتشنسون) حين تنظر فى عينى ..

فى يوم كانت مس (هتشنسون) تنظر إلىَ طويلاً .. يبدو أنها أحست بى ..

لو كنت أكبر من سن (لويجى) بعشر سنوات فقط ، لتمكنت من جعلها تلاحظنى ..

ولكن يبدو أنها لاحظت نظراتى مع ذلك ..

بعدها بيومين .. أتت لحظة المصارحة بينى وبين مس (هتشنسون) .. فى راحة الغداء ..

كنت أجلس فى الفصل أحل بعض المسائل ، فى الواجب الخاص بـ (جرانت) ، حين أحسست بمس (هتشنسون) تملس شعرى بيدها بحنان ونعومة وقالت :

- (لويجى) .. يخيل إلىَّ لسبب ما أنك تتحف كل يوم .. وهذا مضر جدًا فى حالتك هذه .. لم لا تشترى طعامًا من الكانتين .. أو تجعل أمك تعد لك شطائر لتأكلها فى فترة راحة الغداء ؟

هذا كل ما كان يخطر ببال مس (هتشنسون) حين تنظر فى عينى .. لم أعرف بعد هذه المحادثة الشاعرية ماذا أفعل ؟

من الظريف أن أعرف أن حبيبتى تتحلى بروح الأمومة ..

★ ★ ★

ولكن أمومة مس (هتشنسون) تراجعت إلى مؤخرة رأسى حين بدأ ساعد (تيبالدى) يقوى من جديد .. كان لا يزال يعرج .. ولكنه صدم رأسى بمائدة الطعام فى أحد الأيام عندما كنت جالسًا معه ..

وسألنى :

ـ لماذا لا أشترك فى الأنشطة الرياضية بالمدرسة .. إنه يريد ابنًا رياضيًا ..

كنت أريد أن أقول له :

ـ إذا كنت تريد ابنًا رياضيًا يا عزيزى (تيبالدى) .. فعليك أن تنجبه بنفسك .. ولكنى آثرت السلامة وقلت :

ـ أنا مريض ولا أستطيع القيام بالتمارين الرياضية ..

وضرب (تيبالدى) رأسى بالمائدة ثانية وهو يقول :

ـ المرض .. حالة ذهنية .. عليك أن تلتحق بأحد الأنشطة الرياضية .. كالملاكمة مثلاً أو البيسبول .. وستجد بعد فترة أنك قد أصبحت رياضيًا .. أما هذا الصفير الذى تصدره دائمًا من صدرك فعليك أن تكف عنه .. أتفهم ؟

كنت أريد أن أقول له :

ـ إذا كان المرض حالة ذهنية .. فلماذا لا تسير بغير عكاز ؟

ولكنى آثرت السلامة .. وهززت رأسى بالإيجاب وابتعدت عنه ..

لن أجلس معه حول مائدة واحدة بعد ذلك ..

فى تلك الليلة ضرب (تيبالدى) زوجته وخرج .. سمعت صوت صراخها .. ثم صوت انصفاق باب الفيلا ، وصوته وهو يدير السيارة خارج البيت ..

كنت نائمًا فى الساعة الثالثة صباحًا .. حين أفقت على صوت ما .. (تيبالدى) يفتح باب غرفتى ..

كان طبعًا فى حالة سكر بيّن .. وقفزت من الفراش فى الظلام ونزلت تحت السرير .. فتح (تيبالدى) ضوء الغرفة عندما أحس بحركتى ..

كان الأمر أسوأ من أى وقت مضى .. فلم يكن (تيبالدى) يحاول فقط أن يضربنى بيديه .. بل كان معه عكازه المعدنى .. ومضى يضرب به تحت السرير .. لعله يصطدم بجسدى ..

كنت أحاول أن أتحاشى العكاز وأبتعد عن مساره .. كان ضرب العكاز يؤلمنى بشدّة .. وإن كانت حركته محدودة بسبب ضيق الحيز تحت الفراش ..

قدرت أنه سيضرب يمينًا يسارًا مرة أو مرتين ثم يسأم ويرحل .. ولكن يبدو أنه عندما سكر تذكر إساءتى له .. والفخ الذى نصبته له ..

وحشر (تيبالدى) وجهه الكريه تحت السرير .. وأصبح عكازه أكثر دقة ..

ضربنى بالعكاز فى كتفى مرتين ، وكان فى المرتين يقصد رأسى .. وخاصة عينى ..

كنت ما زلت أخفى تحت السجادة ، تحت السرير بمحاذاة الحائط ، فى مكان من الصعب أن يصل إليه الخدم حين ينظفون الغرفة ، أسلحتى التى كنت أستعد بها لهجوم (تيبالدى) قبل أن أنصب له الفخ الذى تسبب فى جرح قدمه اليمنى ..

وفى تلك الليلة أحسست وأنا أتقلب وقد أصبحت محصورًا فى الحائط .. و (تيبالدى) يوجه لى الضربات بأن هناك بروز تحتى ..

كان من الواضح فى هذه اللحظة أن (تيبالدى) مصر على إيذاء (لويجى) .. وربما قتله .. ولا بد مما ليس منه بُد .. مددت يدى للعصا التى تنتهى بالسكين الحادة .. أمسكتها فى يدى .. لم يكن الضوء قويًا تحت الفراش ، وكان (تيبالدى) مشغولاً بالهجوم علىَ فلم ير السكين .. كان ما يُرى من (تيبالدى) مكشوفًا أمام الهجوم .. هو وجهه وصدره .. وأنا لست قاتلاً ..

ضربنى (تيبالدى) فى رأسى مرتين بقوة بعكازه .. كنت أحس بالدوار حين غيَّر (تيبالدى) من وضعه ، بحيث انكشفت أمامى ركبته اليسرى ..

قذفت بالعصا تجاه ركبته .. وتحرك (تيبالدى) فى اللحظة الأخيرة .. فأدركته السكين فى باطن فخذه اليسرى قرب الركبة .. ولا تسل عن حجم الدم الذى انفجر فجأة ..

وانتفض (تيبالدى) وهو يصرخ كالحيوان المذعور .. بينما أسرعت أنا جريًا إلى التليفون القريب لأستدعى الإسعاف .. بعد أن صرخ (تيبالدى) لفترة .. فقد وعيه ..

لا أعرف كيف تبقى مسز (تيبالدى) فى غرفتها وكل هذه الصراعات تحدث فوق رأسها ؟

كالمرة السابقة .. لم تظهر مسز (تيبالدى) إلا مندهشة .. وعربة الإسعاف تحمل زوجها ..

كنت قد خلعت العصا عن السكين .. ووضعت العصا الملوثة بالدم خارج النافذة بعد أن خلعت حذائى الملوث بالدم .. وأنا أتسلق خارجًا ..

قلت لرجال الإسعاف : إننى كنت أخفى السكين تحت مرتبة السرير .. وإن أبى قد عرف بذلك .. وبحث عنها .. وأنه غيَّر من وضعها دون أن يقصد ، وهو يبحث عنها بحيث صارت بارزة

من تحت المرتبة .. فصدمته فى ساقه .. وقلت نفس الشىء لرجال الشرطة الذين سألونى فى المستشفى ..

كنت أنتظر القبض علىَ .. وربما إيداعى الأحداث ، ولكن يبدو أن (تيبالدى) حين أفاق من إغمائه لم يعرف ما حدث له .. أو اختار أن يقول لرجال الشرطة إنه لا يدرى ما حدث ، تحينًا لفرصة يظفر فيها برقبتى ، دون أن يشك أحد فى أنه قتلنى ..

فكّرت فى الاعتراف .. فطالما ظهر هناك خلاف بين زوج الأم وابن زوجته .. فسوف تُنسب حادثة موت الابن إلى زوج الأم .. أما الآن فيمكن لـ (تيبالدى) أن يدبر لى ما يشاء ..

ولكنى تراجعت حين أتى الطبيب بوجه يوحى بالأسف .. وأخبر السيدة (تيبالدى) المرتدية لمنظارها الأسود كالعادة بأن حالة زوجها ليست طيبة .. وأنه سيمكث بالمستشفى عشرة أيام على الأقل .. هذا فى حالة إذا ما استطاعوا السيطرة على الحالة فى هذه الفترة .. أما إذا لم يستطيعوا ؟ ولم يكمل الطبيب ..

وبعد أسبوع تقريبًا .. كنت جالسًا كالعادة على إفريز النافذة أستمتع بالشمس حين توقفت السيارة البيضاء ، ونزل منها الرجلان العريضا المنكبين البارزا الصدر ..

وهذا يعيدنا إلى بداية القصة ..

★ ★ ★

١٨ ـ التحقيق ..

استيقظت بالمستشفى تحت حراسة مشدّدة .. وحين أتت الشرطة لسؤالى علمت من الشرطى الذى أتى ومعه طبيب نفسى متخصص فى مخاطبة الأطفال ، أن (تيبالدى) وزوجته .. قد سفها من فكرة أن أكون قد خُطفت ..

وقال زوج أمى الحنون إنه قد أحس بالقلق من وجودى وحدى فى المنزل وليس معى مرافق .. فأرسل هذين الرجلين اللذين يعملان عنده لإحضارى إلى المستشفى كى يرانى ..

وقال زوج أمى العزيز إنى سليط اللسان .. وقح .. وإنى شتمت الرجلين مما حدا بهما إلى وضعى فى حقيبة السيارة تأديبًا لى .. وإنهما أخطآ فى هذا بالتأكيد ، خاصة وأنهما لم يكونا يعرفان بإصابتى بمرض الربو .. وأن المسألة لم يكن لها علاقة بأى خطف بالمرة ..

كنت أرتعد من الغضب وأنا أسمع هذا .. لقد حاول الأوغاد قتلى .. وها هم يفلتون بفعلتهم ..

ولكنى كنت أحاول مع ذلك السيطرة على نفسى ..

فإذا صرخت وقفزت وتقافزت منفعلاً وأنا أسب وأشتم لأعكس حالتى النفسية .. وصدرت هذه الأقوال من صبى صغير ،

لاستنتج الشرطى والطبيب أنى صبى قليل الأدب .. أو غير متزن نفسيًا .. مما يعضد موقف (تيبالدى) ..

كان هناك ذلك الطبيب النفسى المختص بالأطفال .. والتوّاق طبعًا لاستعمال اختصاصه .. علىَ أن أسيطر على نفسى لأخرج فائزًا من هذه الجولة ..

وسألت الشرطى :

ـ هل عثرتم على أسلحة مع الرجلين .. أم أنكما لم تفتشا السيارة ..

أحسب أن الشرطى غير متعود على الحديث مع أطفال .. فقد ضرب إحدى يديه بالأخرى وهو يضحك ويقول :

ـ إنك طفل صغير وتسأل عن تفتيش السيارة ؟!

الحق أنى لا أدرى إلى أين يسير العالم .. ونظر لمرافقه الطبيب .. الذى كان يتأملنى وقد وضع منظاره على طرف أنفه .. وكأننى حشرة تحت الميكروسكوب .

لكن الشرطى سرعان ما استبدل هزله بالجد وقال :

ـ فى الواقع .. لقد وجدنا مسدسين بالسيارة وسكينًا كبيرة .. ولكن المسدسين كانا مرخصين .. وقيل إن السكين تستخدم فى قطع الحبال عند جر سيارتهما لسيارة أخرى .. وما إلى ذلك .. لاشىء يثير الشك ..

كان من الواضح أن الشرطى أكثر تعاونًا وشكًا .. أحسب أنه قد رأى أزواج أمهات يتخلصون من أولاد زوجاتهم من قبل .. ولهذا وجهت حديثى إليه .

وقلت :

ـ هل رأيت هذين الرجلين .. إنهما ضخما الجثة جدًا لدرجة أنهما لا يمكن أن يكونا غير حارسين .. بالإضافة إلى حملهما المسدسات .. سواء كانت مرخصة أم بدون ترخيص .. أعنى أنهما يمتهنان مهنة لها علاقة بالعنف ..

لماذا يحتاج زوج أمى لهذين الرجلين .. هل تعرف أنت ما هو عمله ؟ أنا أقيم معه .. ولا أعرف ..

أعتقد أنه يمارس عملاً غير مشروع .. أنا لم أشتم هذين الرجلين أو حتى أتحدث إليهما .. لقد أرسلهما لقتلى .. وكم ضربنى من قبل ، وأخبرتنى أمى ألا أتحدث عن هذا .. لكم ذهبت إلى المدرسة وقد غطت وجهى الكدمات .. إذا سألتم مُدَرِّستى مس (هتشنسون) لأخبرتكم أنها كانت دائمًا تتساءل عن سبب الكدمات ..

وأردفت قائلا :

ـ لو تركتمونى معه .. واستمر فى ضربى .. وأنا بهذا الجسد الضعيف .. فسيقتلنى حتمًا ..

وهزّ الشرطى رأسه بأسف ثم ربت على رأسى وقال :

ـ أنا أصدقك يا بنـى .. من الواضح أنك تعرف ما تتحدّث عنه .. لا تخف .. سنحل هذا الأمر ولن يستطيع هذا الوغد أن يقترب منك مرة ثانية .. لا هو ولا أى من رجاله ..

ولكن ما كان يقلقنى فعلاً هو نظرات الطبيب النفسى الشاب الذى أرسلوه لفحص (لويجى) .. ربما كان الشرطى يمثل السلطة .. ولكن الحكم فى هذا ـ على ما أظن ـ سيكون لما يُعتبر أنه العلم ..

أحسب أن الطبيب سيصدر تقريرًا يشير فيه إلى علتى بلفظ من عشرين حرفًا أو أكثر باللغة اللاتينية .. ويُشير فيه إلى أننى مصاب بالبرانويا أو الرهاب .. أو أى من هذه العلل ..

وكما يقول الأمريكيون .. لو نلت قرشًا عن كل توقع يتحقق من توقعاتى لأصبحت مليونيرًا ..

لقد حقق الطبيب ما توقعت بالضبط .. فيما عدا الكلمة ذات العشرين حرفًا ..

خرج تقريره يقول إن الصبى (لويجى) مريض بالرهاب ..

وكانت نتيجة تقرير الطبيب هى طبعًا إعادتى إلى حضن وحضانة عزيزى وحبيبى وأبى .. (تيبالدى) اللعين ..

تُرى ما الذى سيفعله بى الآن ذلك المجنون ؟

وفى اليوم التالى خرجت من المستشفى .. أتت أم (لويجى) بالسيارة واصطحبتنى .. وفى الطريق جلست صامتًا إلى جوارها .. وسرعان ما ركنت السيارة بجوار الطريق فى نقطة منعزلة .. والتفتت لى وقالت :

ـ (لويجى) ما هذا الذى قلته فى محضر الشرطة .. هل حقًا أنك اتهمت (كارلو) بمحاولة قتلك .. أنا أعرف أن (كارلو) يشرب الخمر أحيانًا .. ووقتها يصبح عنيفًا لا يدرى ماذا يفعل .. ولكنه وقتها لا يكون فى وعيه ..

لا يكون فى وعيه .. دفاع رائع .. وددت فى هذه اللحظة لو أخبرها أن (كارلو) لا يضرب فقط عندما يكون مخمورًا .. وأن زوجها العزيز .. وغد سادى يستمتع بتعذيب الآخرين ..

ولكن لأن المرأة كانت تتحدث برفق .. والمفترض أننى طفل فى الثامنة .. ولأننى كنت أشعر بأنى مكتئب .. فلم أنبس ببنت شفة .. بقيت صامتًا ..

وأكملت المرأة حديثها تقول :

ـ ولكن (كارلو) هو الذى رباك .. ويعتبرك ولده ..

أجل .. يعتبرنى ولده .. كما تشرق الشمس فى الليل والقمر فى النهار .. ويكون الجو باردًا فى يونيو وحارًا فى ديسمبر ..

إن ما تقولينه يا امرأة .. كذب صراح كله .. لو كانت أمى لأكلت من يقترب منى بأسنانها .. إن تبريرك يا سيدتى لا يعجبنى .. وأمومتك لا تعجبنى ..

من يترك طفلاً صغيرًا فى الثامنة ، لاحول له ولا قوة ، فى براثن وحش كـ (تيبالدى) ، ثم يأخذ جانب (تيبالدى) فى الدفاع .. العيب فى دفاعك يا سيدتى أننى أعرف جيدًا ما هى الأمومة ، وأحسست بها فى (مصر) مع أمى طوال حياتى .. ولهذا أدينك .. وأدين دفاعك عن زوجك المجنون ، الذى أنت أول ضحاياه ..

قد أقضى بقية حياتى فى هذا الجسد المريض .. ووقتها لا أريد أن أكون تحت رعايتك ..

أنا لست فى الثامنة .. أنا فى الثامنة والعشرين .. وأفضل أن أذهب إلى ملجأ على الاضطرار ، للركون إلى من لا يمكن الثقة بنجدته ومساعدته .. أنا لا أحتاج إلى أم .. وأنت لا تحتاجين إلى ابن .. فهو مجرّد اكسسوار زائد فى حياتك ..

ولأننى طفل فى الثامنة .. فلم أقل أى من هذا .. بل أغلقت فمى لأمنعه من التعبير عن اشمئزازى وسخطى ..

ولفت رأسى لأنظر من النافذة بعيدًا عنها .. لا حاجة للكلام .. فإذا لم يكن القلب يشعر .. فلا شىء يمكن أن يبعث فيه الشعور ..

أما المفاجأة التى أثلجت صدرى فكانت عندما دخلت إلى البيت ..

كان (تيبالدى) يجلس على كرسى بعجلات .. صنعة إيديه وحياة عينيه ..

لم يعد زوج أمى الحبيب يستطيع المشى على قدميه .. ويا للحسرة !! لن يستطيع بعد الآن أن يصعد ليضرب ابن زوجته فى الليل ..

ولكنى نظرت إلى يديه .. كانتا ما تزال منتفختين من فرط العضلات .. ويستطيع أن يخنق بهما صبيًا صغيرًا مثل (لويجى) ..

ومررت بنظرى مر الكرام على الصالة .. واستوقفنى شىء ما .. مصعد تم تركيبه بحيث يحمل الكرسى وراكبه إلى الدور الثانى .. بهذه السرعة تم تركيب المصعد ؟ لم يتغير شىء .. ما زال الوغد قادرًا على الوصول إلىّ ..

لقد عدنا إلى الخانة رقم (١) وكما يقول المصريون : رجع أبوك عند أخوك .. وكأنك يا أبو زيد ما غزيت ..

بل الأدهى والأمرّ .. أن فُتح باب غرفة المكتب الخارجى لـ (تيبالدى) .. وظهر منه شخصان .. إنهما حارسا (تيبالدى) اللذان اختطفانى .. الآن أصبحا يلازمانه على ما أظن .. بسبب عجزه ..

وتراجعت إلى الخلف وقد باغتنى الموقف ..

لقد أصبح الموقف أسوأ مما كان .. لو كان من الممكن أن يكون هناك أسوأ .. حين رآنى بدأ (تيبالدى) يفتح يديه ويغلقهما بتوتر شديد ، كما لو كان سيطبق على عنق شخص ما ..

هذا الرجل يكرهنى .. أحسست بذلك على الرغم من أنه لم يصدر تهديدًا لى .. كان قلبى يتعالى صوته فى سمعى .. وتراجعت إلى الخلف بخوف .. وأنا أنتظر ما سيفعلونه بى .. لكن أحدًا لم يتحرك نحوى ولم ينطق .. وأخيرًا قال (تيبالدى) :

- (لويجى) الصغير .. لماذا لا تأتى لتحتضننى وتسلم على عمَّيك (باولو) و (ستيفانو) .. كان الرجل ينطق بلهجة تهديد لا موارية فيها ..

★ ★ ★

١٩ - جو ..

كان قلبى يرتفع ويهبط فى صدرى ، وأحسست برأسى يدور ، ولكنى تحاملت على نفسى وقلت له :

- على أى منكم أن يرفع أصبعًا فى وجهى أيها الأوغاد .. وسوف تكون صوركم منشورة فى الجرائد فى اليوم التالى .. ابتعدوا عنى أبتعد عنكم .. واتركونى فى حالى أترككم فى حالكم ..

ولكن لو لمسنى أحدكم ، فسوف تكون هناك دلائل مادية على أن زوج أمى يضربنى .. ولن أخفى الحقيقة هذه المرة .. سأملأ الدنيا صياحًا واتهامات .. وأجركم إلى قاعات المحاكم .. أما إذا مت فجأة .. أو أصبت بجرح فجأة .. فسوف تكونون أول من يعانى .. وقتها سينظر رجال الشرطة إلى تقاريرهم .. وتشير أصابع الاتهام إليكم .. أما أنا .. فما أنا ؟ شخص سيموت من المرض إن لم يمت بأيديكم .. ولكنى سأموت سعيدًا أيها الأوغاد إن ضمنت أنهم سيعلقونكم فى المشانق ..

أحسب أن تعبيرى بهذا الشكل المهذب .. وهذه الكلمات غير المفهومة .. عن مقصدى غير المباشر .. قد نزل على الثلاثة نزول الدش البارد على محموم ..

كان الثلاثة .. أو قل الأربعة .. يحملقون بى وكأنهم لم يروا طفلاً من قبل .. وأخيرًا حمحم (تيبالدى) ثم قال :

ـ أيها الصغير .. من تظن نفسك ؟

ولم أجبه .. بل تركته وصعدت فى السلالم إلى غرفتى .. فكر يا (تيبالدى) ..

ولكن ربما كان على أنا أن أفكر ..

إن منعهم الطعام أو حتى عنصرًا واحدًا منه على (لويجى) يمكن أن يؤدى به إلى أزمة ربو تسحقه سحقًا .. يكفى أن يبللوا جسده ويتركوه بالعراء كى يموت ..

إنهم لا يحتاجون إلى قتلى .. حسبهم تركى لأموت .. ولا أعتقد أن أم (لويجى) ستكون عقبة كبيرة ..

آه من هذا الجسد الضعيف .. لماذا لم يكن حظى هو جسد كجسد (هرقل) أو غيره من الأجساد القوية ..

لكم تمنيت أن أطير كـ (سوبرمان) .. وهذه هى نتيجة أمنياتى ..

لم يحاول أحد من الثلاثة أن يلمسنى لأيام بعدها .. ولكنى لم أترك هذا يخدعنى ..

فقد أصبحت أعيش فى هذا البيت وسط ثلاثة أعداء وشخص لا مبال .. خلطة بشرية مثيرة للتفكر .. وإن لم تكن مثالية ..

المهم .. بقيت أذهب للمدرسة صباحًا .. ولكن اهتمامى كله أصبح الآن منصبًا على المنزل ..

كنت أجلس فى العصر والمساء على إفريز النافذة ، أراقب حركة الداخلين والخارجين من البيت .. وأتساءل عن سبب ما يحدث ؟

لم يعد (تيبالدى) يغادر البيت مطلقًا بسبب عجزه .. ولم يعد أعمامى (باولو) و (ستيفانو) يظهران إلا لمامًا .. وظهر شخص جديد كان يأتى إلى البيت كل يوم .. شاب صغير فى حوالى السابعة عشرة أو الثامنة عشرة كما قدرت ..

كان الفتى يحضر إلى البيت كل يوم فى حوالى الساعة الثالثة مساءً أو الرابعة مساءً .. ولا يغادره بعد ذلك إلا فى العاشرة مساءً أو ما بعدها ..

وكان يأتى فى بعض الأحيان فى مواعيد متأخرة جدًا .. بعد الثانية عشرة ويمكث حتى الصباح .. أو مبكرة جدًا .. فى السادسة صباحًا .. ويبقى لساعتين أو ثلاث ..

فى البداية كنت أراه فقط من فوق المنزل ، لأنى قدرت أنه من عصابة (تيبالدى) .. ولكنى يومها كنت أقف بالحديقة حين أتى ..

كان شابًا صغيرًا يبدو حتى أصغر مما قدرت لـه .. ولم يكن نامى العضلات كـ (تيبالدى) وأعوانه .. بل كانت تبدو عليه أمارات الوداعة ..

كان الفتى يدخل مكتب (تيبالدى) الخارجى القريب من باب الفيلا .. والذى توجد به أجهزة الكمبيوتر .. بمجرّد وصوله .. ولم يكن يدخله من باب الفيلا .. بل كان يدخل من الباب المطل على الحديقة ويغلقه وراءه بالمفتاح ..

وكان (تيبالدى) يقضى مع الفتى بعض الوقت فى المكتب الخارجى .. وسواء كان (تيبالدى) مع الفتى أم لا ..

لم يكن الفتى يغادر المكتب سوى فى العاشرة .. حيث يخرج ويغلق باب المكتب بالمفتاح ويرحل .. ولم يكن هناك أحد يدخل عليه طوال فترة بقائه بالمكتب ..

قدرت أن الفتى ربما كان موظفًا .. ولكن ألا يحصل الموظفون عادة على فترات راحة خلال عملهم ..

كما أن الفتى يأتى فى ساعات لا يعمل فيها الموظفون .. ويأتى فى العطلات الرسمية كذلك ..

بقيت أراقب دخول الفتى وخروجه لمدة أسبوعين .. وأنا أكاد أجن .. هل أخبرتكم أننى فضولى .. والفضول عندى أقوى من أى شىء آخر ؟

كان الفضول يقتلنى قتلاً .. ما الذى يحدث فى معسكر العدو ؟ إن الفتى لا يبدو إطلاقًا من عينة (تيبالدى) .. بل يكاد يبدو على النقيض منه فى كل شىء .. ما الذى يجمع النقيضين ؟

وأخيرًا قررت أن أقوم بالتحرك ..

إن الفتيان فى سن هذا الفتى يأكلون كثيرًا ويحبون الطعام ..

فى هذه الفترة العمرية كانت أمى تقول مازحة إنها تعنى بترك أى طعام فى المنزل خوفًا على بلاط الشقة .. حتى لا آكله من شدة نهمى وحبى للأكل ..

ولكن الغريب أن الفتى لم يكن يخرج ليأكل فى أثناء النهار .. فلنقل إنه يحمل معه فى هذه الحقيبة المغلقة التى يحملها معلقة على كتفه شطائر .. فإلى متى تكفى هذه الشطائر شابًا مثله ؟

وفى يوم عطلة راقبت الفتى وهو يدخل كعادته إلى مكتب (تيبالدى) الخارجى فى الساعة الرابعة ظهرًا .. فى السادسة كان الخدم قد انصرفوا .. ودخلت المطبخ وأعددت شطائر الجبن بالخيار واللحم بالمايونيز التى أحبها وأجيد صنعها ..

كان جسد (لويجى) يكره الطعام ويرفضه بطبيعته .. ولكنى صنعت الطعام كما لو كنت سأطعمه لـ (أيمن) ..

أعددت كوبين من الشاى .. ووضعت كل هذا فى صينية ذات حافة عريضة .. فأنا صغير الحجم كما تعرفون .. وحملت

الصينية إلى الحديقة حيث طرقت الباب الخارجى لمكتب (تيبالدى) ..

ولما لم يرد .. طرقت الباب ثانية .. وسمعت دورة المفتاح فى القفل .. وأخيرًا فُتح الباب ..

ونظر الفتى إلى الخارج بشك .. ومددت يدى بالصينية وأنا أعطيه أفضل ابتساماتى الطفولية .. كاشفًا عن أسنان (لويجى) الصغيرة .. منتهى البراءة ..

لم يكن الفتى ينظر لى .. بل كانت عيناه تبتلعان الطعام .. كنت أعرف أنه جائع ..

حافظت على ابتسامتى خلف الصينية وأنا أقول :

ـ أنا (لويجى) .. ابن (كارلو تيبالدى) كما تعلم ..

لم يمد الفتى يده إلى الصينية فورًا .. بل سأل بشك :

ـ وما هذا ؟ هل أرسلك أبوك بهذا الطعام ؟

وأجبته :

ـ كلا .. لقد قدرت أنا أن أبى مشغول .. وأنه بسبب انشغاله لا يفكر فى هذه الأمور .. وتعجبت كيف تبقى كل هذه الفترة بلا طعام ..

وحمل الفتى الصينية وربّت على رأسى وهو يقول :

ـ فتى طيب .. شكرًا لك .. ولكن هل تسمح لى .. أنا مشغول الآن .. وأغلق الفتى الباب برفق .. ثم سمعت صوت المفتاح يدور فى القفل ..

لم أحصل من لفتتى الكريمة هذه على أية معلومات .. فلم أعرف حتى اسم الفتى أو ماذا يفعل .. وإن كنت قد لاحظت أن هناك كمبيوتر جديدًا فى المكتب .. ترى لماذا ؟

زاد الفضول فى صدرى .. وعزيت نفسى .. الصبر يا (أيمن) .. الصبر .. سوف يعتاد هذا الفتى تدريجيًا على رؤيتى .. ووقتها سيتخلى عن حذره ..

لمدة ثلاثة أيام .. بقيت أحمل الطعام إلى الفتى، الذى أخبرنى فى آخر مرة أن اسمه هو (جو) ..

وفى اليوم الرابع .. حملت الطعام وتعمدت أن أقف قليلاً فى منتصف المسافة أمام الباب وأنتظر .. ووضع (جو) الصينية فى الداخل وعاد ليغلق الباب .. ولم أتحرك ، بل قلت وأنا أنظر إلى الكمبيوتر الجديد بالداخل ..

إنهم يُدَرِّسوننا الكمبيوتر بالمدرسة .. هل تعرف ذلك ؟ ولكن كل الكمبيوترات لدينا قديمة .. أهذا الكمبيوتر جديد ؟

قلت هذا .. وابتسمت .. ووقفت أنتظر ..

يبدو أن الأمر لم يخطر ببال الفتى من قبل .. فقد سألنى بتلقائية :

ـ نعم .. إنه كمبيوتر جديد .. هل تحب أن تدخل وتراه ..

وأضاء وجهى وأنا أقول :

ـ نعم .. نعم .. أحب ذلك كثيرًا ..

ودخلت وشاهدت الفتى وهو يرينى الكمبيوتر ، ويستعرض قدراته وقلت له :

ـ تعجبنى كثيرًا هذه الألوان الزاهية .. هل يمكننى أن أبقى قليلاً وأراك تعمل .. سأكون صامتًا كأرنب .. ولن تشعر بى ..

وابتسم الفتى وهو يقول :

ـ بالطبع .. ولم لا ؟

نعم .. لقد وقع الفأر فى مصيدة القط الفضولى .. والبقية تأتى ..

★ ★ ★

٢٠ ـ ماهو عمل (جو) ؟

أصبحت أقضى كل وقت فراغى مع (جو) فى المكتب جالسًا أراقب ما يفعله الأخير على شاشة الكمبيوتر ..

لم أكن أسأل حتى لا أثير شكوكه .. كنت أشاهد فقط .. كان الفتى يرحب بوجودى ، فقد كان يحس بالوحدة وحده على ما أظن .. وإن أبقيت حديثى معه على مستوى طفل صغير ، حتى لا يشك فى شىء ..

رآنى (تيبالدى) عدة مرات وأنا أجلس مع الفتى .. ولم يمنع الفتى من استقبالى .. ولكنه فى كل مرة كان يجعلنى أترك المكتب ؛ ليتحدّث مع الفتى على انفراد ..

كنت من ناحيتى أحافظ على استمرار تدفق المؤن ، من فاكهة وشطائر مختلفة ولبن وشاى وقهوة من مطبخ (تيبالدى) إلى معدة (جو) ..

كان (جو) على الرغم من صغر سنه ، الذى أقدره الآن بحوالى من السابعة عشرة إلى الثامنة عشرة خبيرًا جدًّا ، وشديد المهارة فى العمل على الكمبيوتر ..

بل كان ذا حساسية خاصة ، وموهبة خاصة فى هذا المجال .. وكان يقضى وقته كله فى اللعب واختراق الشبكات .. حيث

يدخل على شبكة ما .. ويحاول استنتاج كلمة المرور أو كلمة السر للشبكة التى تمكنه من الحصول على صلاحيات التغيير والحذف فى الشبكة ..

وحين يحصل على هذه الصلاحيات يبدأ فى استعراض أسماء المشتركين فى الشبكة .. ويختار اسم مشترك (سواء كان شخصًا أو مؤسسة) قليل الدخول على الشبكة .. أو لم يتم تحريك حسابه ولا الخصم من حسابه لفترة طويلة (مما يدل عادة على أن الشخص قد سافر أو أن المؤسسة قد ألغت الحساب أو أوقفت أعمالها) .. وينتحل اسم هذا الشخص .. وينفذ بهذا الاسم من هذه الشبكة (التى عادة ما يختارها ، بحيث تكون لها صلاحيات الدخول إلى شبكات أوسع .. أو تكون هى ذاتها فرعًا من فروع شبكات أكبر) .. ومنها ينفذ إلى شبكة ثالثة أكثر سرّية .. تتصل بها الشبكة الثانية .. وهكذا ..

كان كل هذا بالطبع غير قانونى .. وكان (جو) يقوم بمعظم هذه الأعمال للتسلية .. ولم يكن يبغى شرًا .. كان (جو) هاكر (Hacker) كمبيوتر ..

الهاكر : هو الشخص البارع جدًا فى الكمبيوتر ، الذى يستطيع أن يخترق الشبكات ، أو يدخل على مراكز التحكم بالشبكات ، ويصدر لها أوامر تعطيه سلطات خاصة ، أو تفعل أشياءً خاصة ..

ويعمد بعض الهاكر إلى كتابة برامج فيروسات تدمر خلايا الشبكات التى يدخلون عليها لتغطية آثارهم إذا ما نقلوا معلومات مهمة عن هذه الشبكات .. إلخ .

ولهذا يعتبر لفظ هاكر من الألفاظ السيئة التى تعنى خارجًا عن القانون ..

ولكن (جو) كان يعرف جيدًا كيف يدخل من شبكات إلى شبكات إلى شبكات .. بحيث إنه حين يصل للنقطة التى يقصدها يكون قد أخفى آثاره تمامًا ..

كان يكتفى بقراءة المعلومات ، وكان عندما يقوم بنقل معلومات ـ فى حالات نادرة ـ لا ينقلها بطريقة (download) أى إنزال الشفرة على الكمبيوتر الذى يعمل منه أو (Save as) أى احفظ ، بأن يحفظ الملف على الكمبيوتر الخاص به مباشرة .. بل كان ينسخ معلومات مكتوبة فقط عن طريق أوامر (Copy و Paste) أى نسخ ولصق .. وكان يلصق المعلومات المنسوخة فى طريقه من ملف لملف .. بحيث إنه لا يمكن أبدًا أن يكتشف من يتابعه مكان وجوده ..

كان (جو) ـ كما أسلفت ـ يدخل ويخرج من الشبكات كنسمة الصيف الخفيفة التى لا يحس بها أحد ..

وفى يوم رن جرس التليفون .. وردّ (جو) .. وبقى ينصت قليلاً ..

لم أستطع أن أتحرك لأتسمع من الذى يحدث (جو) .. ولكنى كنت أظن بإحساسى أنه (تيبالدى) يتحدّث من داخل البيت ..

وأحسست بـ (جو) يتوتر وهو يحدث نفسه كالعادة ، كلما جلس أمام الكمبيوتر ويقول :

ـ هيا .. هيا .. لدينا الآن مهمة .. ويجب إنجازها ..

وانطلق (جو) يدخل من شبكة لشبكة .. حتى انتهى إلى بنك (نيويورك) ..

كانت الساعة التاسعة مساءً ، وكانت البنوك قد أغلقت أبوابها .. ومعظم الموظفين فى البنوك ..

أصدر (جو) أمرًا بتحويل مبلغ مليون دولار من حساب كان بالبنك الأمريكى إلى حساب آخر مفتوح ببنك فى (لكسمبورج) ..

وفى اليوم التالى .. تخفى (جو) بين الشبكات .. لينقل المال من الحساب فى (لكسمبورج) إلى بنك فى (لندن) ..

أحسب أنه قد أراد أن يسجل البنك فى (لكسمبورج) دخول المال إليه .. وأن يسجل البنك فى (نيويورك) التحويل .. ولهذا أبقى المال فى بنك (نيويورك) ليلتها ..

وفى اليوم الثالث .. دخل (جو) مرة ثالثة من شبكة لشبكة ، ثم قام بنقل المليون دولار من الحساب فى بنك (لندن) إلى بنك فى (بلجيكا) .. وتنهد (جو) الصعداء وقال وهو يحدث نفسه :

ـ انتهت العملية على خير ..

فى المدرسة وفى معمل الكمبيوتر .. اخترقت نفس الشبكات التى اخترقها (جو) فى المنزل وأنا وحدى فى المعمل .. وسجلت أسماء الأشخاص أصحاب الحسابات التى تم التحويل منها وإليها ..

تُرى هل يسرق (جو) البنوك لصالح (تيبالدى) ؟!

لماذا هذه الحسابات بالذات ؟ أتكون حسابات مهجورة ؟ لا أدرى وإن كنت لا أظن ذلك .. ترى من يمكن أن يساعدنى لاستكشاف هذا الأمر ؟

وفكّرت فى مس (هتشنسون) ولكنى استبعدتها فورًا .. لا أحب أن أزج بها فى أمر كهذا .. كما أن الشكوك سوف تتجه إليها عند أول بادرة شك فى أن أحدًا يعمل معى من الخارج .. بمن يستعين الصبى إلا بمدرسته التى تهتم به ؟ كما أنها لا تعرف الكثير عن الكمبيوتر والدخول على الشبكات ..

أما مدرسة الكمبيوتر فقد كانت تبدو مذعورة دائمًا .. حتى بدون سبب لذلك .. إنها من النوع المفرط فى الحساسية وستموت رعبًا وهى تستمع للقصة .. ناهيك عن الكشف عن المجرمين ..

أألجأ إلى الشرطة ؟ بماذا ألجأ للشرطة ؟ ليست لدى أى أدلة .. كما أنهم قد لا يمتلكون البراعة الكافية .. وقد تمنعهم القوانين وتقيدهم من اختراق الشبكات ، ونقل الأسرار كما

يفعل (جو) .. من يساعدنى ؟ أنا أحتاج لمخبر خاص خبير فى الكمبيوتر ..

★ ★ ★

فى إحدى المرّات كنت قد ركّزت بصرى وذهنى على الشاشة و (جو) يلعب كعادته حين سألنى (جو) بغتة :

ـ (لويجى) .. هل تفهم ما الذى أفعله ؟

وفوجئت وانتفضت .. ولكنى هززت رأسى سريعًا وقلت :

ـ قليلاً .. ولكنى أحب الكمبيوتر وأحب أن أراك تدخل على مواقع مختلفة زاهية الألوان .. وأحب أن أتعلم .. أنا لا أفهم ما تفعله .. ولكنى أفهم أنك تجوّل على شبكة الأنترنت ..

وربّت (جو) على ظهرى وهو يقول :

ـ نعم .. هذا صحيح .. وأنت خير مساعد لى ..

قال ذلك وهو يفتح علبة البسكويت الرابعة من النوع الذى يحبه ، والذى كنت أحضره له خصيصًا ..

استمتع يا (جو) .. استمتع .. فأنت طريقى الوحيد إلى رقبة (تيبالدى) ..

كنت قد بدأت أستظرف (جو) ونكاته .. وأحس أنه شاب طيب .. كذلك لاحظت أن (تيبالدى) لا يحدثه بسلاسة .. بل يحدثه بخشونة .. والفتى يتحمله يبدو أنى والفتى فى قارب واحد ..

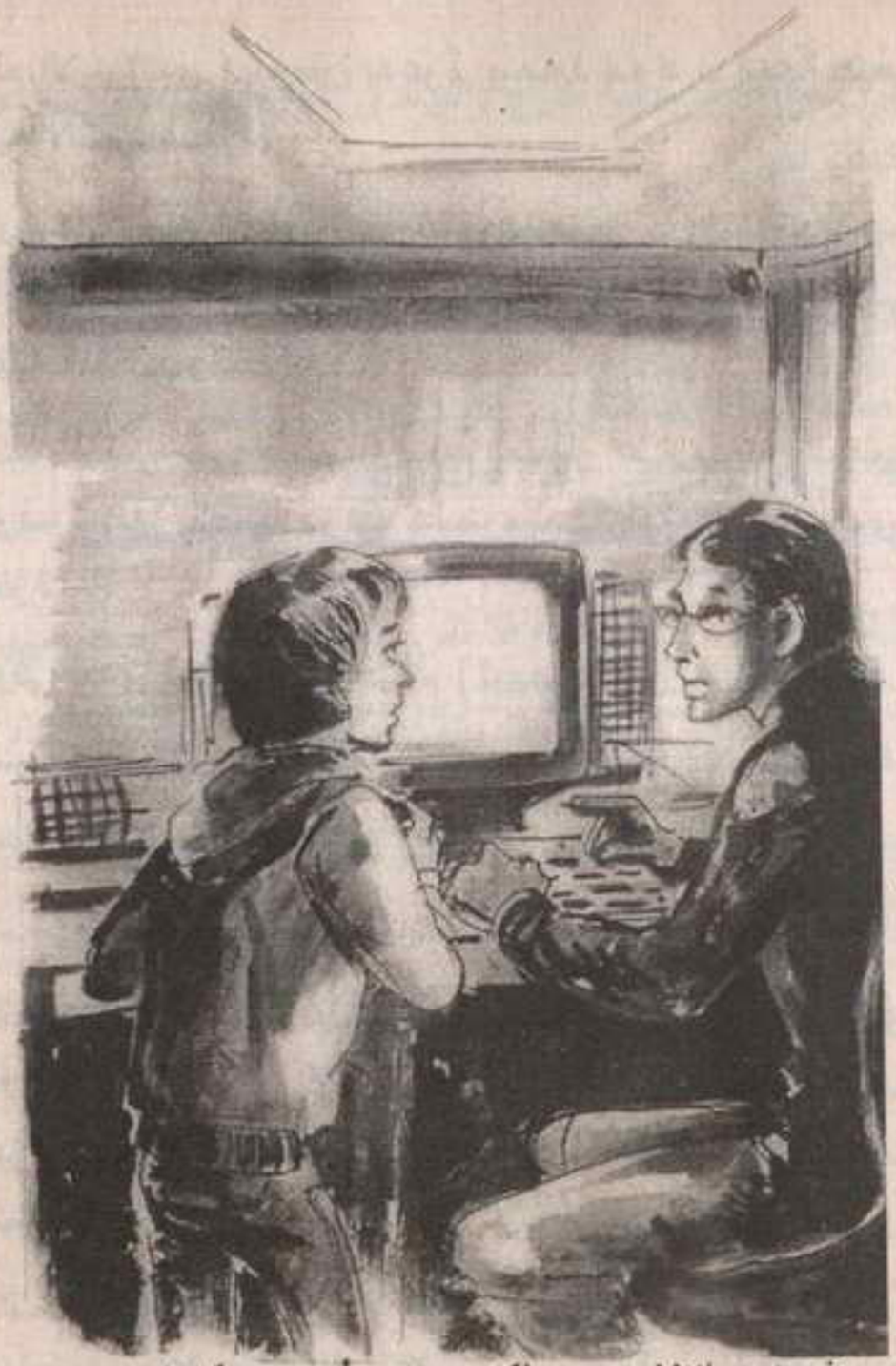

وفوجئت وانتفضت .. ولكنى هززت رأسى سريعًا وقلت :
ـ قليلاً .. ولكنى أحب الكمبيوتر وأحب أن أراك تدخل على مواقع مختلفة زاهية الألوان ..

لم ألازم (جو) ليومين بدعوى وجود مواد دراسية صعبة يجب الانتهاء منها ..

وضعت المنظار المقرب على صدرى .. وأخذت أضبط مواعيدى بحيث أتواجد فى مواعيد دخول (تيبالدى) على مكتبيه الداخلى والخارجى ..

كنت أختفى على السلم ، وأسلط المنظار على مفاتيح المكتبين لأعرف شكلها بالضبط .. فقد كانت سلسلة مفاتيح (تيبالدى) مكتنزة ..

وفى إحدى الليالى .. سمعت أم (لويجى) تقول لـ (تيبالدى) :

ـ ومتى سنخرج مساءً ؟

وردّ (تيبالدى) :

ـ إنهم سينتظروننا فى السابعة ..

انتظرت حتى ترك (تيبالدى) مفاتيحه على المائدة بعد تناول الطعام كالعادة وذهب ليغسل يديه .. وأسرعت حين غابت (اليزابيث) ببعض الأطباق فى المطبخ .. أفك المفتاحين من سلسلة مفاتيحه ..

كنت أدعو فى سرّى ألا يكتشف (تيبالدى) أنه يريد أن يدخل غرفة مكتبه هذا أو ذاك حتى وقت خروجه .. ووقفت أراقب الموقف بالمنظار من بعيد ..

فى الساعة السادسة خرج (تيبالدى) وزوجته .. وأسرعت أنا كذلك أخرج ..

ركبت حافلة إلى المنطقة التجارية القريبة .. وهناك استخرجت نسخة من كل من المفتاحين ..

تسللت مساءً بعد دخول (تيبالدى) وزوجته .. وفى أثناء بقائه هو وأم (لويجى) فى غرفة النوم ..

غامرت ودخلت وهو يغير ثيابه .. ونظر لى (تيبالدى) بنظرات نارية .. أحسب أنه قد شرب قليلاً .. كنت أحس بيديه على عنقى .. وإن كان لم يقترب منى .. ولكنى أحسست أن نظراته على عنقى تخنقنى ..

ويبدو وكأنه قال : اللهم اخزيك يا شيطان ..

ودخل الحمام بكرسيه ..

وقلت لأم (لويجى) :

ـ أنا أحتاج إلى المال .. فأنا لم أطلب مالاً منذ فترة وأود شراء عدة أشياء ..

وابتسمت أم (لويجى) وهى تقول :

ـ وكم تحتاج يا عزيزى ؟

أجبتها :

ـ عشرين دولارًا ..

ومدت أم (لويجى) يدها داخل محفظتها بسرعة ـ بينما كنت أمسكت سلسلة مفاتيح (تيبالدى) وأخذت ألعب بها ـ وأخرجت عشرين دولارًا .. وقالت :

ـ إنك لا تطلب إلا القليل جدًا من المال يا (لويجى) ..

وأجبتها وأنا أبتسم بما يوحى بأنى متحرج :

ـ نعم .. وأنا أحتاج إلى الكثير .. ترى هل أكون مسرفًا إذا طلبت مائتى دولار ؟

وضحكت أم (لويجى) وقالت :

ـ لا عليك يا عزيزى .. إن الغرض من المال هو أن ننفقه ..

وتحولت إلى الدولاب كى تأتى بالمال .. وبسرعة كنت أضع المفتاحين فى مكانهما فى سلسلة (تيبالدى) وأم (لويجى) مشغولة باستخراج المال ..

أخذت الدولارات من أم (لويجى) وصعدت إلى غرفتى .. وما زال (تيبالدى) فى الحمام ..

فى تلك الليلة وفى الثانية صباحًا .. تسللت حتى فتحت مكتب (تيبالدى) الداخلى ..

كانت هناك أدراج كثيرة مغلقة بالمفاتيح .. ولكن الدرج الأول كان مفتوحًا .. وحدّث ماذا وجدت ؟ شيك صادر ومسحوب على الحساب البنكى بـ (بلجيكا) .. وصادر من صاحب الحساب لحامله ..

كان الشيك موجودًا فى ظرف بريدى ومعنون على عنوان فى (بلجيكا) ومرسل باسم السيد / (يورى باولوزسكى) .. بمبلغ مليون دولار .. مليون دولار لحامله !! ترى ماذا سيفعل حامله ؟

كان أسلوب (جو) فى نقل المال من حساب لحساب يضمن ألا تكون هناك مستندات ورقية بنقل الحسابات .. مما يمكن أصحاب هذه الحسابات .. إن كانت مفتوحة بأسماء أصحابها الأصليين .. أن ينكروا وقت اللزوم .. أن المال كان محولاً لهم أصلاً .. أو أن يعرفوا أنه قد حوّل إليهم ..

كما أن هذه الوسيلة تغنى عن وجود أشخاص يوقعون على أوراق يطلبون فيها نقل المبالغ المالية من الحساب البنكى لحساب آخر .. مما يسهم فى إخفاء مصدر المال بشكل أكبر .. خاصة وأن أحدًا لم يكن باستطاعته تتبع (جو) ليعرف من أين يتم إصدار أوامر التحويل ..

فى تلك الليلة سمعت صوت المصعد يتحرك ..

لم أكن قد نمت بعد ..

وما إن سمعت الصوت حتى وجدت قلبى ينتفض داخل صدرى .. لا وقت .. لا وقت للخوف .. يجب أن أسرع ، وأسرعت ألبس سترة ثقيلة وأجذب كوفية وقلنسوة صوفية للرأس .. وأنا أفتح النافذة .. وأخرج إلى الإفريز الخارجى ..

★ ★ ★

٢١ ــ من هو باولوزسكى ، أو يارسكى أو ترزوفسكى ..

بعد دقائق كان (تيبالدى) العزيز يمد رأسه خارج النافذة .. ورآنى جالسًا كالقنفذ على الإفريز ..

كان من الواضح فى الضوء الصادر من النافذة أن معه عتلة حديدية قصيرة ـ لوازم كسر الباب إن كان مغلقًا بالمزلاج ـ وربما كسر عظام (لويجى) نفسه ..

كنت مرعوبًا من أن يكون قد فكّر فى إحضار عصا طويلة .. أو بنزين وكبريت .. أو شىء من هذا ..

ولكن العزيز (تيبالدى) أطلق قهقهة عالية وأغلق النافذة ..

كانت ليلة من الليالى التى يخترق فيها البرد عظام المرء كالرصاص .. وكانت سرعة الهواء كبيرة فى أعلا الفيلا ..

قضيت الليلة جالسًا على إفريز النافذة وسط الهواء البارد ، الذى لم يكن يخترق سترتى فقط .. بل كان يخترق لحمى وعظمى ..

اهنأ بفراشك الوثير الدافئ يا عزيزى (تيبالدى) .. فلن تنام عليه طويلاً .. لقد اقترب يومك ..

كنت أفكّر فى الذنب الذى ارتكبته .. أنا لم أصلّ بعد صلاة العشاء ..

صليت العشاء وأنا جالس القرفصاء على السقيفة بدون وضوء .. ثم صليته ثانيًا بعد الوضوء .. فقد انهمر المطر ..

فتحت السماء أبوابها وانهمر المطر .. وأخذت أدعو اللّه فدعوة المرء مستجابة عند نزول الغيث ـ أن يخلصنى مما أنا فيه .. لابد أننى ارتكبت ذنبًا عظيمًا ؛ لأقع فى هذا المطب القاتل .. والأمر للّه من قبل ومن بعد .

فى الصباح كنت أسعل وأعطس بشكل متواصل .. والمياه تتدفق سيولاً من أنفى ..

وفى تلك الليلة لم أعد أستطيع أن أحرك يدىّ ولا ساقىّ وأصابتنى نوبة ربوية حادة .. وعندما عبَّرت (إليزابيث) فى الساعة السابعة قبل رحيلها عن قلقها على صحتى .. اتصلوا بالطبيب الذى شخّص حالتى على أنه التهاب رئوى .. وأمر بنقلى للمستشفى .. وهناك أصابتنى نوبة ربو ثانية أشد حدة .. انتهت بالإغماء ..

مكثت بالمستشفى أسبوعين .. وعندما عدت إلى البيت مكثت أسبوعًا آخر لا أستطع القيام من فراشى ، وأسبوعًا رابعًا لا أستطيع الذهاب للمدرسة .. وتركنى (تيبالدى) طوال

الأسبوعين اللذين قضيتهما فى المنزل فى حالى .. يبدو أن هناك ما يشغله ..

لقد أقعدنى (تيبالدى) عن الحركة .. وأثبت أنه لم يعد فى حاجة إلى لمسى ليقتلنى .. وأصبحت سرعة تخلصى منه مسألة حياة أو موت ..

لم يعد الدفاع يجدى كما كان فى السابق .. ربما اضطررت لقضاء بقية حياتى فى جسد (لويجى) .. ولن تطول حياتى إذا ما ظللت أرى (تيبالدى) فى كل يوم منها ..

الهجوم هو الحل الوحيد ..

كنت قد انقطعت شهرًا عن رؤية (جو) .. وافتقدنى المسكين جدًا ..

قال إنه قد تعود أن يرانى فى كل يوم .. لم أكن فى خير صحة .. ولكنى عدت إلى ديدنى السابق فى إطعام (جو) والجلوس إلى جواره وهو يعمل ..

كان (جو) ـ على الرغم من مرحه ـ إنسانًا خجولاً جدًا .. ووحيدًا جدًا .. أعتقد أن طول عشرته للكمبيوتر قد أفقدته قدرته على التواصل مع من هم فى سنه .. وأخرت من نموه النفسى ..

وعلى الرغم من أنى أكبر منه بكثير .. إلا أننى تمكنت من اختراق عزلته .. فأصبحت صديقه .. وربما صديقه الوحيد

كان (جو) قد بدأ يتخلى عن حذره .. وأصبح يتسلى بتعليمى كيفية حل الشفرات .. واختراق الشبكات .. وكيف يمكننى أن أحصل على كلمة السر .. على الرغم من أنه كانت تأتيه قوائم مطبوعة بكلمات سر على الكمبيوتر .. لم يكن يحملها فى حقيبته .. وهذا معناه أن (تيبالدى) كان يزوده بها ..

كان من السهل استنتاج كلمة السر عادة .. فإن كنت لا أستطيع استنتاجها .. وهى عادة مشتقة من اسم الشركة أو المؤسسة التى تحميها كلمة السر .. كان (جو) يعلمنى كيف أدخل على الشبكات التى لها حق الدخول على هذه الشبكة .. ويرينى كيف أجد كلمة السر ضمن هذه الشبكات ..

كان (جو) يستمتع باستعراض مهاراته أمامى .. وعندما تظهر مشكلة كشخص يتعقبه .. ويحاول اكتشاف مكانه عبر الشبكات .. كنت أضحك كثيرًا .. حين يقوم بتلك الحركة التى يفعلها حين يمد قامته ، ويباعد ما بين ساقيه ، وينفخ صدره ويشمر عن ذراعيه ، ليبدو أضخم ما يكون ، وكأنه سيدخل معركة .. ثم يقول :

ـ والآن .. تم تم تم .. سيفاجئهم الجنرال .. (جو ماتشينى) بما لم ينتظروه .. ويتغلب عليهم ..

طالما تعجبت مما يجمع النقيضين (جو) و (تيبالدى) ..

وفى يوم كنت جالسًا إلى جوار (جو) وهو يلعب على الكمبيوتر ويثرثر عن الهاكر وألعابهم ، وعمن عرفه منهم وأخيرًا .. سكت برهة ثم قال :

ـ بالمناسبة .. هل حقيقى أن اسمك هو (لويجى بييرو) ؟

أجبته :

ـ نعم ..

قال :

ـ إذن فـ (كارلو تيبالدى) ليس أباك ؟

وأجبته :

ـ كلا .. إنه زوج أمى فقط ..

ونظر لى (جو) نظرة طويلة ثم سألنى :

ـ هل تحب زوج أمك يا (لويجى) ؟

وقلبت شفتىّ احتقارًا .. ولم أتحدث ..

وضحك (جو) وهو يقول :

ـ هذا ما حسبته .. إن أحدًا فى هذه الدنيا لا يحب (كارلو تيبالدى) ..

وأجبته :

ـ إذا كان هذا هو شعورك .. فلماذا تعمل لديه ؟ أحسب أن بإمكانك أن تعمل فى أى مكان آخر بسهولة كبيرة ..

تمهل (جو) .. وأحسب أن جوّ الألفة كان يسيطر علينا .. ثم قال :

ـ سأخبرك بسر يا (لويجى) .. إن (تيبالدى) يستطيع أن يبعث بى إلى السجن .. وقتما يشاء ..

أحسب أن تعبير الجد على وجهى كان قويًا .. فلم أستطع أن أغير تعبيرات وجهى لتوحى بالطفولة كالعادة .. ولهذا نظر لى (جو) .. ثم قال :

ـ ها ها .. هل خدعتك بما قلت ؟ لقد كانت مجرّد مزحة .. أنا أحضر بعد مواعيد الدراسة بالجامعة لأساعد أباك فى عمله .. وهو بالطبع يعطينى المقابل .. ويدفع بسخاء ..

طبعًا .. طبعًا .. أراهن أنها مزحة ..

فقد كان صوت المرارة فى حديثك يا (جو) أبلغ من أى كلام .. وأنا يا بنى أميز صوت المرارة جيدًا حين أسمعها ..

وقدرت أن الوقت غير مناسب كى أنصح (جو) أن يذهب بمعلوماته للشرطة .. لم يحن الوقت بعد .. وسأنتظر حتى اللحظة المناسبة ..

الصبر جميل .. والصبر مفتاح الفرج .. ولكن ما أثقل الصبر ..

آه من هذا الكمبيوتر .. أين أنت يا (محمود) ؟ تعال وتصرف ..

استغللت فرصة عودتى إلى المدرسة لمتابعة الشيك فى البنك البلجيكى ..

فقد كنت أنام كثيرًا مساءً ، وكنت متعبًا .. ومنعنى هذا من التسلل لمكتبى (تيبالدى) فى البيت .. ولم أكن أعرف ما سأجد .. فالشيك لحامله .. أى أنه ليس باسم شخص معين .. وإذا صرف هذا الشخص الشيك انتهى الأمر ..

ولكن عندما دخلت على البنك البلجيكى .. وجدت أنه بعد صرف الشيك بربع ساعة .. تم إيداع مبلغ مليون دولار بحساب آخر بالبنك ..

تم الإيداع هذه المرة باسم (إيفان يارسكى) ـ مواطن من (بولندا) لو كان هذا الشخص (يارسكى) .. هو نفس الشخص (باولوزسكى) الذى أرسل على عنوانه الشيك ، فلعله ينتحل اسم الشخص الآخر .. أم لعل اسم (باولوزسكى) هو المنتحل .. واسم (يارسكى) هو الحقيقى ..

قام (يارسكى) بعد إيداعه المليون دولار فى حساب بنكى باسمه ببنك (بلجيكا) باستخراج بطاقة كريدت .. وبدأ يصرف منها .. وبالتالى يتم الخصم على حسابه فى البنك ..

حدث كل هذا وأنا بالمستشفى طبعًا ..

تابعت سلسلة مشترياته من خصومات المحلات بالسحب على حسابه البنكى ..

واستوقفنى أنه قام بعد يومين بخصم مبلغ ٥٠٠٠٠ دولار .. حصل بها على شيكات سياحية .. خمسين شيكًا كل منها بقيمة ألف جنيه ـ تعتبر الشيكات السياحية كالمال النقدى .. حيث يمكن صرف قيمتها من أى بنك حول العالم ..

هذا الرجل سيسافر .. ولكن إلى أين ؟

استوقف نظرى سحب مبلغ مالى لحساب شركة سياحية .. ودخلت على الملفات الداخلية للشركة السياحية بأن استنتجت كلمة السر المشتقة من اسم الشركة ..

كان هذا الرجل قد حجز تذكرة طيران إلى (تركيا) .. وكان مكتوبًا بوضوح فى الويب بيج .. صفحة إعلانات الأنترنت الخاصة بالشركة أن الشركة تنظم رحلة إلى (تركيا) لمدة أسبوعين .. وأن الأفراد المشتركين فى الرحلة قد غادروا منذ عشرة أيام .. أى أنهم ما زالوا فى (تركيا) ..

وعلى الرغم من أن السحب تم من بطاقة الائتمان باسم (يارسكى) إلا أن التذكرة صدرت باسم مواطن آخر من (بولندا) اسمه (يورى تارزوفسكى) ..

إنه لغز كبير .. لقد ذهب الشيك لحامله على عنوان (باولوزسكى) الذى أعتقد أنا أنه فتح حسابًا باسم (يارسكى) .. الذى حجز تذكرة طيران باسم (تارزوفسكى) ..

ما الأمر ؟

ثم ما الذى يجعل (تيبالدى) يعطى هذا الرجل مليون دولار ؟ لأنه مهما تنوعت الأسماء .. فإن (تيبالدى) هو الذى أعطاه إياه .. لماذا ؟

وفكّرت .. إما أن المال قد دُفع له على أنه تغطية لثمن صفقة تم القيام بها .. صفقة مؤخر حسابها مليون دولار ..

ولكن الصفقات تتم عادة عن طريق فتح خطاب اعتماد من الطرف المالك ، وخطاب ضمان من الشخص الذى يقوم بالعمل أو التوريد .. وإجراءات بنكية معقدة .. وكلها علنية لضمان حق الطرفين .. ولا يتم عن طريق التحويل من بنك لبنك لإخفاء أى أثر يدل على مصدر المال ..

هذا أسلوب تجار المخدرات ..

وليس من الممكن أن يكون هذا أجر أعمال استشارية أو أعمال محاماة كذلك .. فهذه الأجور لا تدفع أبدًا بهذه السرية .. خاصة من الطرف الذى يقوم بالدفع .. حتى من باب أن يتم خصمها من الضرائب التى يدفعها الشخص الذى دفعها ..

فإذا لم يكن الرجل قد حصل على المال نتيجة لصفقة تجارية .. فلا يمكن أن يكون المال صدقة .. لابد أنه قيمة

صفقة مخدرات مثلاً .. أو شىء كهذا .. خاصة وأن الرجل قد أخذ المال وسافر .. ولكنى لم أكن مقتنعًا بهذا ..

فالشخص الذى يتسلم مليون دولار عادة ما يكون غير الشخص الذى يسافر ويحمل المخدرات .. والذى يسميه المهربون (البغل) (The mule) .. عادة ما يكون البغل شخصًا فقيرًا ، ويتقاضى أجرًا لا يزيد على بضعة آلاف ..

لو كان (يارسكى) صاحب الحساب هو شخص غير (تارزوفسكى) المسافر ، لكان (تارزوفسكى) هو البغل .. ولكان (يارسكى) عضو بالعصابة ..

ولكن ماذا يكون (باولوزسكى) الذى أرسل الشيك على عنوانه فى هذه الحالة .. سمسار .. ولكن السماسرة يقتطعون جزءًا من المال لأنفسهم ..

أما إذا كان (يارسكى) صاحب الحساب قد انتحل اسم (تارزوفسكى) وسافر به .. وهما شخص واحد .. فهناك لغز آخر ..

كان ثمن الرحلة كلها ثلاثة آلاف دولار بما فيها تذكرة السفر والبقاء لمدة أسبوعين .. أسبوعين .. داخل (تركيا) ..

هذه المجموعة السياحية هى من ذوى الدخل المحدود فى (أوربا) .. وسوف تسافر بالدرجة الثانية ، إن لم تكن هناك درجة ثالثة .. وتقيم فى فنادق الدرجة الخامسة ..

ما الذى يجعل شخصًا يمتلك مليون دولار .. ويحمل فى جيبه خمسين ألف دولار يسافر بهذه الطريقة ؟

لِمَ لا يستمتع بوقته على الوجه الأكمل ؟ أيكون بخيلاً ؟

المسألة كلها لغز كبير ..

كرهت فضولى الذى أوقفنى هذا الموقف .. وقلت :

ـ اللهم اخزيك يا شيطان .. إن سوء الظن من الإثم فى بعض الأحيان .. ولكنى كنت كلما نظرت إلى (تيبالدى) .. أعود إلى الإثم .. من أين يعيش هذا الرجل ؟

ها هو ذا مقعد فى البيت لا يغادره ولا يأتيه أحد .. ومع ذلك لم أحس أبدًا بأن هناك أزمة مالية قد أصابت البيت ، أو أن (تيبالدى) أو زوجته قلقين بشأن المال ..

وعدت أفكّر .. لماذا دفع (تيبالدى) هذا المال لـ (يارسكى) .. ومن أين أتى بالمال أصلاً ؟ ولماذا نقله بهذه السرية من (أمريكا) إلى (بلجيكا) مرورًا بـ (لكسمبورج) و (إنجلترا) ؟!

السبيل الوحيد هو الحصول على المزيد من المعلومات ..

لا ربّحك الله يا (تيبالدى) .. إن أمرك كله تعب .. تتعبنى حين تؤذينى ، وتتعبنى حين تبتعد عنى ..

لم يكن الألم جسديًا أو حتى عقليًا .. كان الفضول يقتلنى قتلاً .. هناك شىء لا أعرفه ..

كنت أحتاج إلى من يساعدنى .. ما رأيك لو أتاك صبى فى الثامنة ، وأخبرك أن لديه معلومات كتلك التى ذكرتها .. ألا تقول له :

ـ اذهب يا حبيبى والعب مع الأسد ..

أنا أحتاج إلى شخص يمتلك المصداقية والعلم .. ويقبل الاشتراك فى هذه اللعبة .. بالطبع لم تكن هناك أدلة كثيرة تشير إلى ما حدث ..

فالظرف الذى يربط بين (تيبالدى) وبين الشخص (البولندى) .. والذى كان مكتوبًا عليه عنوان (باولوزسكى) .. لم يره أحد غيرى .. كما أنه لم تكن هناك أية أدلة تدل على أن قيمة الشيك الذى صُرف لحامله .. هى نفسها المليون دولار التى أودعها (يارسكى) فى حسابه ..

لم يطل بى البحث عن شخص يساعدنى .. فقد كانت مدرسة الكمبيوتر تحدث الأولاد عن شخص اسمه (ياسوهيرو تاكاشى) ..

قبض (تاكاشى) هذا على هاكر كمبيوتر كان يسرق البنوك .. حين اخترق .. الهاكر وليس (تاكاشى) .. وهو يخفى آثاره مختبر الفضاء الذى يعمل به (تاكاشى) .. كان (تاكاشى) بالطبع أمريكيًا من أصل يابانى .. كما أن (لويجى) أمريكى من أصل إيطالى ..

تتبع (تاكاشى) مسار الهاكر فى كل مرة كان يدخل فيها على المختبر الذى يعمل به (كاتاشى) ، حتى تم القبض عليه بوساطة الأنتربول « البوليس الدولى » فى (ألمانيا) ..

وأعطيت الكمبيوتر أمر « اعثر على » وأعطيته اسم (تاكاشى) .. وسرعان ما كان عنوانه على الأنترنت أمامى على الشاشة ..

أرسلت إلى (تاكاشى) رسالة بالبريد الإلكترونى .. بعد أن تخفيت داخل شبكات كما يفعل (جو) .. حتى لا يعرف (تاكاشى) مصدر الرسالة ، وأرسلت لـ (تاكاشى) الرسالة التالية :

فزورة ..

لماذا تم تحويل مليون دولار من حساب بنك باسم فلان برقم كذا فى بنك كذا (نيويورك) ، إلى حساب فلان برقم كذا فى بنك كذا بـ (لكسمبورج) ، ثم تم تحويل نفس المبلغ فى تاريخ كذا من حساب (لكسمبورج) إلى حساب فلان برقم كذا فى بنك كذا بـ (لندن) ، ثم تم تحويل نفس المبلغ من حساب (لندن) إلى حساب فلان برقم كذا ببنك كذا فى تاريخ كذا بـ (بلجيكا) ؟

ملحوظة : الشخص الذى أصدر أمر التحويل من حساب (نيويورك) .. والتحويلات التالية هو السيد (كارلو تيبالدى) المقيم فى عنوان كذا .. وعنوانه على الأنترنت هو : كذا ..

الإمضاء : (أيمن)

فكّرت أن (أيمن) اسم غير شائع فى (أمريكا) .. وقد يؤدى لتوريط شخص ما .. ولهذا مسحت اسم (أيمن) ووقعت الرسالة باسم (جو المتحير) ..

فى اليوم التالى وجدت رسالة على صفحة الويب الخاصة بـ (تاكاشى) لـ (جو) المتحير يخبره فيها أنه قد تحقق من المعلومات المذكورة .. وأنه متحير مثل (جو) .. هل يتكرّم (جو) بحل اللغز .. لأن (تاكاشى) فضولى جدًا ..

فلنترك الفضول يتلاعب بـ (تاكاشى) اليوم .. خاصة وأن الرجل البولندى .. أيًا كان اسمه .. قد غادر (تركيا) اليوم ..

فى ذلك اليوم فى الحصة التى تسبق استراحة الغداء .. كنا مجتمعين فى الفصل مع مس (هتشنسون) .. كان درس جغرافيا .. وقالت مس (هتشنسون) فى أثناء شرحها للدرس :

ـ بالطبع .. فإن الكثير من الأمريكيين يعتبرون أن (الولايات المتحدة) هى العالم كله .. ويتصرفون على هذا الأساس .. ولا يتابعون أخبار العالم .. وإلا فمن الذى يعرف ماذا حدث أمس فى (تركيا) ؟

★ ★ ★

٢٢ ـ ما الذى حدث فى (تركيا) ؟

كنت نصف نـائم .. وأنـا أتـأمل حركـات مـس (هتشنسون) وعينيهـا الجميلتين .. حين ضربنـى السـؤال كلفحـة الشـمس الحارقة فى منتصف يوليو ..

(تركيا) ؟ ولماذا (تركيا) بالذات ؟

أمـس كـان آخـر يـوم لـ (باولوزسكـى) أو (يارسكـى) أو (تارزوفسكى) .. أو أيًا كان اسمه فى (تركيا) ..

ونظرت مس (هتشنسون) إلينا وهى تقول :

ـ لا أحد يعرف .. أليس كذلك ؟ هل تعرف أنت يا (لويجى) ؟

وأجبتها :

ـ كـلا .. كـلا .. فأنـا لـم أشـاهد التليفزيون منـذ .. كـدت أن أقول لها .. منذ أن دخلت هذا الجسد .. ولكنى أكملت بعد لحظة وقلت منذ فترة :

ـ ما الذى حدث فى (تركيا) ؟

وردّت مس (هتشنسون) :

ـ هذا يثبـت نظريتـى .. معظم الأمريكيين لا يتـابعون أخبـار العالم ..

وسألتها ثانية :

ـ ما الذى حدث فى (تركيا) يا مس (هتشنسون) ؟

وأجابت مس (هتشنسون) :

ـ حدث شىء فظيع يا (لويجـى) .. لقد آذى بعض النـاس بعضهم الآخر .. وهذا شىء مروع .. هل تعرفون يا أولاد أين تقع (تركيا) على الخريطة ؟

أذى بعض الناس بعضهم الآخر .. هذا ينطبق على خناقة فى الشارع ، وينطبق كذلك علـى الحرب العالميـة الثانيـة .. وكدت أصرخ بها :

ـ مـا الذى حدث فـى (تركيـا) .. مـا الذى حدث يـا مـس (هتشنسون) .. ولكنى كتمت إحساسى بنفاد الصبر ..

★ ★ ★

أسرعت فى فـترة راحـة الغداء إلـى الكمبيوتـر حيث طـالعت الأنباء منشورة فى ملخص الـ (CNN) على الكمبيوتر ..

لقد تـم اغتيـال رئيس وزراء تركيـا .. وقـد عُدَّت الجريمـة مروعة ؛ لأنه كان يزور قاعة توجد ضمن مجمع تجـارى ضخم هو الأدوار الأولى لبناية ضخمة جدًا .. ولم يتورع المجرم عن تلغيم البناية بأكملها .. ووضع المتفجرات فى أكثر من مكـان .. وخاصة قاعة العرض التى سيزورها رئيس الوزراء .. وقد قُدر

عدد الضحايا بحوالى اثنين وثمانين قتيلاً ومئات الجرحى .. كانوا لا يزالون فى مرحلة رفع الأنقاض ..

دلت التحريات الأولية على أن كل العبوات القابلة للانفجار الموضوعة فى الفندق قد ضُبطت على وقت واحد ، بعد دخول رئيس الوزراء للقاعة بساعة ..

ولولا أن إحدى العبوات الموجودة بالقاعة قد انفجرت قبل ميعادها بعشر دقائق لسبب غير معروف .. مما سمح بحدوث انفجار محدود .. مما أثار ذعر الجماهير الموجودة بالمركز التجارى والبناية .. مما جعل الناس تسارع بمغادرة المبنى .. الذى كان له أكثر من أربع عشرة بوابة كبيرة .. وثمانية مصاعد .. غير السلالم المتحركة والسلالم العادية .. لكن القتلى بالمئات والجرحى بالآلاف ..

كان المجرم شخص غير طبيعى فى عدم مبالاته بالتدمير الذى سيحدثه ، من أجل قيامه بمهمته غير النبيلة .. أم أن حجم التدمير كان متعمدًا لإثارة الرأى العام ؟

فى ذلك اليوم .. استنقذت جريدة كانت نظيفة .. من إحدى صفائح القمامة للبيوت حول المدرسة .. وتابعت قراءة الأخبار ..

الحداد العام .. الناس تبكى فى الشوارع .. إغلاق المحلات والمصالح الحكومية والخاصة بسبب الحداد .. الناس تهتف ضد الإرهاب .. إلخ .

لا أعرف لماذا كنت متأكدًا من أن لـ (تيبالدى) ضلع فى هذا .. الرجل هذا .. أيًا كان اسمه (باولوزسكى) أو (يارسكى) أو (تارزوفسكى) .. ولنسمه هنا الرجل البولندى ..

كانت هناك نظرية تتكون فى ذهنى عن الرجل البولندى .. لابد أنه إما مواطن بولندى فعلاً .. أو شكله يوحى أو يسمح باعتباره بولنديًا .. يمكن أن يكون روسيًا ، أو من مواطنى أوكرانيا أو روسيا البيضاء أو بلغاريا .. أو أن يكون تشيكيًا .. أو ربما تلقى تدريبه فى صربيا ..

المهم أن يكون شكله سلافيًا .. يمتلك العناصر المميزة للشكل السلافى .. وهذا ليقنع الناس أنه بولندى .. أو وقت اللزوم بولندى نشأ وترعرع فى (روسيا) .. أو (أوكرانيا) .. إلخ .. وأن يحمل أوراق هوية بولندية .. سواء كانت حقيقية أم مزورة ..

أعنى .. هذا الرجل ذهب إلى (تركيا) ضمن آلاف الناس .. ولكن لا أدرى لماذا أحس أنه هو .. وليس الملايين الذين يزورون (تركيا) للسياحة فى كل عام .. ولا الملايين الذين يقيمون بالفعل فى (تركيا) .. هو الذى فعلها ..

توجهت الشكوك كما ذكرت الجريدة .. إلى الأكراد المطالبين بالانفصال عن (تركيا) .. وإلى الدول المجاورة لـ (تركيا) .. واتهم الحزب الحاكم ، الذى ينتمى إليه رئيس الوزراء بقية الأحزاب أنها وراء حادثة اغتياله ..

كنت أجلس أقرأ الجريدة وأفكّر ..

لو كان المجرم قد زوّر بعض الأدلة هنا أو هناك .. فربما أدّى هذا لقيام حرب أهلية .. أو حرب تطحن المنطقة طحنًا .. وتبقيها فى ربقة الفقر والتخلف إلى الأبد .. من الذى دفع لهذا ؟ من الذى لا يشبع إلا عندما يجرع الدم ؟

فى اليوم التالى .. كنت أستعد لأذهب لـ (جو) ومعى الشطائر والمشروبات .. حين دق جرس الباب .. وبما أنى أقرب شخص للباب فقد ذهبت لأفتحه ..

كان الرجل الواقف بالباب طويلاً جدًا .. أبيض اللون .. وقد ارتدى معطفًا رماديًا تبدو من تحته حلة رجالية سوداء ، ويمسك فى يده حقيبة عمل رمادية اللون .. ويرتدى قبعة رمادية ..

وحين فتحت له الباب وقفت أتأمله دون أن أتحدّث .. ورفع الرجل قبعته وقال :

ـ يوم سعيد .. هل السيد (تيبالدى) موجود ؟

أجبته :

ـ نعم .. إنه موجود ..

وردّ الرجل :

ـ عندى موعد .. مع السيد (تيبالدى) الآن .. هل يمكنك أن تنادى من يوصلنى إليه ..

وأشرت للرجل بالتفضل .. وأخذت أبحث عن (اليزابيث) الخادمة .. لتقوده إلى مكتب (تيبالدى) .. فقد كنت أتجنب رؤية (تيبالدى) كالوباء ..

لم يكن هناك شىء بالرجل يستوقف النظر .. فشكله عادى جدًا .. وقد اختار ألوان ثيابه وحذاءه ومعطفه ، بحيث يذوب فى الزحام متى دخل فى مجموعة من الناس ..

كان هذا الرجل قد أتى من قبل .. وأنا واثق من ذلك .. فهو مفرط الطول بشكل يلفت النظر ..

هل قلت لكم إننى أعجب كثيرًا بالثياب الأنيقة ، التى لا أستطيع شراءها ..

لقد كان ثمن معطف الرجل وحده .. أكثر من ألفين من الدولارات .. وكانت الطبقة المغطية لهذا المعطف من الحرير الطبيعى .. شاهدت إعلانًا عن هذا المعطف على الأنترنت ..

ناهيك عن حذائه من جلد الثعبان الحقيقى ..

مشيت بضع خطوات وأنا أبحث عن (اليزابيث) .. ولكننى غيّرت رأيى فورًا .. وعدت إلى الرجل وقلت له :

ـ سأقودك بنفسى إلى أبى ..

وسرت والرجل خلفى ، حتى مكتب (تيبالدى) الداخلى .. وطرقت الباب .. وسمعت صوت (تيبالدى) يقول :

- تعال يا (براون) ..

وفتحت الباب ومن خلفى ظهر الرجل الطويل .. الذى تقدم ينحنى ويصافح (تيبالدى) الجالس على الكرسى .. ويقول :

- لقد جئت طبقًا لموعدنا يا سيد (تيبالدى) ..

وردّ (تيبالدى) :

- نعم .. مرحبًا بك يا سيد (جونزاليس) ..

وحدجنى (تيبالدى) بنظرة جعلتنى أغلق الباب بسرعة ..

(جونزاليس) !!! (جونزاليس) !!! لقد كادت لكنة الرجل الإنجليزية تخرق أذنى ..

من سمع بشخص إنجليزى قَح اسمه (جونزاليس) .. إن اسم (جونزاليس) هو اسم شائع فى (أسبانيا) و (أمريكا اللاتينية) .. وهؤلاء يتحدثون ويتصرفون بشكل مختلف تمامًا عن هذا السيد الإنجليزى ..

إن هذا الرجل هو السيد (ويلسون) أو السيد (واطسون) أو السيد (سميث) .. ولكنه لن يكون أبدًا السيد (جونزاليس) ..

لم يكن من الحكمة أن أتنصت على ما يقوله الاثنان .. فلسوأ شىء فى مكتب (تيبالدى) الداخلى أن بابه مكشوف أمام أعين الذاهب والغادى داخل البيت .. أما نوافذه من الناحية الأخرى ..

فعالية وزجاجها شفاف .. والباب الخشبى المشرف على الحديقة سميك لدرجة لا تسمح بالتنصت ..

مرّ أسبوعان لم يحدث فيهما أى شىء يذكر .. ونسيت نظريتى عن الرجل البولندى .. كان كل ما فكرت فيه مجرّد أوهام ..

وكنت يومها جالسًا على إفريز النافذة مساءً .. أستمتع بالهواء الخارجى .. لم يكن (جو) فى المكتب فى ذلك اليوم .. يبدو أن (تيبالدى) قد سمح له بإجازة ..

توقفت سيارة تاكسى أمام الفيلا .. ونزل منها رجل مضى فى الظلام إلى الباب الداخلى للفيلا ..

تركت مكانى وأسرعت ألتقط المنظار المقرب .. وأجرى إلى الجزء العلوى المشرف على السلم بجانب غرفتى .. ثبتّ المنظار المقرب على الباب الذى سرعان ما فتحته أم (لويجى) ..

كان الرجل يميل إلى السمرة بالنسبة للبيض ، وكان أنيقًا ويحمل حقيبة عمل .. ويرتدى ثيابًا كالأول لا تشير إلى هويته ولا تجذب إليه الأنظار ..

وسرعان ما اقتادت أم (لويجى) الرجل إلى مكتب (تيبالدى) الداخلى .. وأغلقت الباب عليهما ..

كانت هذه هى أول مرة أرى فيها هذا الرجل .. وأرجح أنه مثل الآخرين .. أحد الذين يذهبون ولا يرجعون .. ربما عاد مرة أخرى .. وهذا كل شىء ..

فى اليوم التالى .. غادر (تيبالدى) البيت .. وقد ظهر عمّاى (باولو) و (ستيفانو) .. وأخذا (تيبالدى) فى سيارة يقودها (باولو) .. أما أنا فذهبت للمدرسة ..

وحين عدت من المدرسة .. كان (جو) يستعد لما يسميه (العمل) .. وقام (جو) بتحويل مبلغ مليون دولار من نفس الحساب ببنك (نيويورك) .. إلى بنك بـ (بلجيكا) ..

وفى اليوم التالى قام بتحويل المبلغ من بنك (بلجيكا) إلى بنك آخر بـ (أمستردام) بـ (هولندا) ..

وفى اليوم الرابع .. تم نقل المبلغ من بنك (أمستردام) لبنك بـ (زيورخ) بـ (سويسرا) .. حيث استقر المال هناك .. لقد تكرّر الأسلوب النمطى الذى يستعملونه فى نقل المال ..

وفى تلك الليلة .. دخلت مكتب (تيبالدى) الداخلى خِلسة باستعمال المفتاح المقلد .. كان الشيك لحامله قد صدر .. ووضع فى خطاب مستعد للإرسال باسم (إميليو ساليزانى) .. ومسحوب باسم صاحب الحساب السويسرى ..

كنت فى كل مرة يقوم فيها (جو) بإجراء تحويل للمبلغ من مكان لآخر أتصل بـ (تاكاشى) الذى أخبرته بشكوكى بشأن الجريمة فى (تركيا) .. وسرعان ما بدأ (تاكاشى) يتابع معى ما يحدث .. سأجعله يتعلق بهذا الأمر إلى حد ضمان مساعدته فى المستقبل ..

وكالمرة السابقة .. بعد أن قام حامل الشيك بصرفه ، وقبض المليون دولار .. أودع المبلغ فى نفس البنك فى حساب جديد فتحه حديثًا باسم (أنتونيو مارينو) .. مواطن من (إيطاليا) ..

فقد دلت سجلات البنك على أنه بعد نصف ساعة من قبض قيمة الشيك لحامله .. تم إيداع مبلغ مليون دولار فى حساب بنكى تم فتحه حديثًا باسم (أنتونيو مارينو) ..

إذن فشكل هذا الرجل إيطالى بلا شك ، وإلا لما انتحل فى الحالتين اسمًا إيطاليًا .. وأعتقد أنه فى هذه الحالة إيطالى فعلاً .. فمن المرجح أن يوجد ضمن مستقبليه فى (ألمانيا) .. سواء فى الفنادق أو المرشدين السياحيين .. شخص يتحدّث الإيطالية .. ويعرف الفارق بين الإيطاليين وغيرهم ..

وفى هذه الحالة سينكشف أمره بسهولة ، ويثير الشك إن لم يكن إيطاليًا بالفعل .. هذا طبعًا إن لم يكن من مواطنى المنطقة التى تتحدّث بالإيطالية من (سويسرا) ..

وكما فعل الرجل البولندى من قبل .. قام الرجل الإيطالى باستخراج بطاقة اعتماد على حسابه .. واستخرج شيكات سياحية بمبلغ 50000 دولار .. هذا هو أضعف جزء فى خطتهم ..

فهو يُمكّن من يتابع المصروفات بالسحب على بطاقة الائتمان من معرفة خط سير صاحب البطاقة والحساب .. ولكنهم يعتمدون بالطبع على أنه لا يوجد إثبات على أن صاحب الشيك

لحامله هو صاحب الحساب المفتوح حديثًا .. والذى يستخرج بطاقة الائتمان ..

قام (أنتونيو مارينو) صاحب بطاقة الائتمان بدفع مبلغ سبعة آلاف دولار أمريكى ؛ لرحلة ضمن فوج سياحى يزور (ألمانيا) لمدة أسبوع .. وكانت التذكرة محجوزة باسم (روبرتو سانتينى) ـ مواطن من (إيطاليا) .. تُرى ماذا سيحدث فى (ألمانيا) ؟

فى اليوم التالى .. حاولت الاتصال بـ (تاكاشى) ، ولكنى فوجئت برسالة تركها على صفحة الأنترنت الخاصة به ، تقول إنه فى مؤتمر بـ (اليابان) وسيتغيب لفترة طويلة ..

لقد سافر (تاكاشى) وتركنى فى هذا المأزق الحرج ..

لقد هلّلت له الصحف وأجهزة الدعاية الأمريكية حين اكتشف الهاركر ، الذى يسرق البنوك .. ودعته بالسامورای .. وقلب الأسد .. والكاميكازى .. والرجل القادم من بلاد مردة السومو .. إلخ .. وهأنذا أكتشف أنه ليس قلب الأسد .. وإنما قدم الأرنب .. مجرّد فاسوخة لا نفع لها ..

أين أنت يا (تاكاشى) ؟

يجب أن يوقف أحد ما الرجل الإيطالى ، قبل أن يرتكب كارثة فى (ألمانيا) ..

★ ★ ★

٢٣ ـ الرجل الإيطالى ..

أنا لن أقف ساكنًا .. ولكن لمن أرسل شكواى ؟

وسرعان ما صغت بعبارات بليغة كافة المعلومات التى لدى فى خطاب ، وطبعت منه العديد من النسخ ، وأرسلت العديد من الخطابات بالبريد السريع ..

خطابًا للمباحث الفيدرالية الأمريكية ..

وخطابًا لصحيفة (الواشنطن بوست) ..

وخطابًا للسفارة الألمانية بـ (واشنطن) ..

وخطابات لمختلف الأجهزة الشرطية بـ (أمريكا) .. وطلبت فيها جميعًا إيقاف الرجل الإيطالى قبل فوات الأوان ..

كنت أرسلت خطابات لهيئات جديدة كل يوم .. مر اليوم أربعة أيام على دخول الرجل الإيطالى إلى (ألمانيا) .. ولم أسمع عن بحث يُجرى لتحديد مكانه .. لعله بحث سرى بغرض عدم تحذيره ..

بالمناسبة هل ذكرت لكم أنه فى أثناء غيابى عن البيت .. حاول أبى (تيبالدى) العزيز استعمال المصعد ولكن المصعد انهار به ..

كانت كارثة مفجعة .. ولكن لحسن الحظ لم يصب العزيز (تييالدى) بأى أذى ..

يبدو أنه لسبب ما تقوضت الدعامات المصنوعة من الصلب الخفيف للمصعد الصغير ..

ذكرت شركة المصاعد .. لكى تغطى موقفها طبعًا .. أن أحدهم قد صب كميات كبيرة من حمضى الكبريتيك والنيتريك المركزين جدًا على قواعد المصعد الظاهرة فوق الأرض مما أدى إلى احتراق المعدن ..

وبالطبع كان هذا هراء .. من الذى يمكنه أن يفعل شيئًا كهذا .. وإذا فعله .. أما كانت الرائحة قد ظهرت .. أعنى أن البيت به رجل مقعد .. وامرأة تحب زوجها .. وطفل صغير فى الثامنة .. فمن يمكنه أن يفعل شيئًا كهذا .. وقد رفض (تييالدى) بالطبع إجراء أى تحقيق .. أو دخول رجال الشرطة فى الموضوع .. ورفع مخلفات المصعد من المكان على حسابه ..

كانت أم (لويجى) تعتقد جازمة أن شركة المصاعد هى المخطئة ..

فلماذا لجأ المخرب ـ إن كان هناك مخرب ـ لهذه الطريقة المعقدة ؟

لماذا لم يقم المخرب بقطع السيور مثلاً ، إذا أراد إسقاط المصعد ؟

إنه خطأ شركة المصاعد بلا شك .. نعم .. لم تعد الصناعة الأمريكية كما كانت من قبل ..

أعنى أنه لم يتم استعمال المصعد إلا عددًا قليلاً من المرات يُعد على أصابع اليد الواحدة .. ثم ينهار بهذه الطريقة معرضًا حياة (تييالدى) العزيز للخطر ..

وهززت رأسى أؤمن على قولها .. وعيناى تعكس الأسى العميق .. كنت أعرف أن الكابينة الخشبية السميكة ستحميه ..

بالطبع لم أكن أريده أن يموت ، أو يصاب بما لا يمكن الشفاء منه .. وإلا فمن الذى سيقضى بقية عمره فى السجن ؟ هذا إن لم يقض نحبه .. قضاءً وقدرًا .. عن طريق الصعق على الكرسى الكهربائى .. أو متدليًا من حبل مشنقة ..

إنها لتكون مأساة لو مات بعد كل جهودى هذه فى انهيار مصعد .. ميتة روتينية تحدث كل يوم .. أنا أريد له ميتة شاعرية .. وإبداعية .. وغير تقليدية ..

وهذا إن دل ، فإنما يدل على إعزازى له وحبى ..

كنت أتابع ما يحدث فى (ألمانيا) وأتصل بـ (تاكاشى) كل يوم .. بقى يوم واحد .. ويعود هذا الرجل الإيطالى .. (ساليزانى) أو (مارينو) أو (سانتينى) .. أيًا كان اسمه .. إلى (سويسرا) ..

وفى صباح اليوم التالى .. وقبل الدخول للحصص .. أسرعت أتفقد ملخص الـ (CNN) على شاشة الكمبيوتر ..

لقد وقعت الواقعة ..

تم اغتيال وزير الزراعة الفرنسى فى أثناء وجوده فى (ألمانيا) ..

كانت (ألمانيا) و (فرنسا) كدولتين عضوتين فى الاتحاد الأوربى مختلفتين بالنسبة للسياسة الزراعية بينهما ..

وبالطبع كان يجب أن تتنازل إحداهما لتسود سياسة واحدة على كل دول الاتحاد بالنسبة لقطاع الزراعة ..

كانت (فرنسا) .. استجابة لملايين العمال الذين كانوا يتظاهرون كل يوم ، قد أعلنت استمرار الإعانات الحكومية للفلاحين ، ليتمكنوا من منافسة الفلاحين الآخرين المنتمين للجنسيات الأخرى فى الاتحاد الأوربى ..

بينما كانت (ألمانيا) ترى أن ذلك يلحق أشد الضرر بها ..

فالفلاحون الألمان لا يتلقون دعمًا من الحكومة .. والعمالة الألمانية مرتفعة الأجور .. وبالتالى فلا يمكن للمنتجات الزراعية الألمانية أن تنافس (الفرنسية) ، إلا لو قامت (فرنسا) بإيقاف المعونة الحكومية للمزارعين .. وإلا ستقوم (ألمانيا) بدعم المزارعين كما تفعل (فرنسا) ..

وفى هذه الحالة ستسود الاتحاد الأوربى سياسة دعم قطاع الزراعة مما سيكلفها موارد طائلة ..

ولكن لو تم منع المساعدات الحكومية للزراعة فى (الاتحاد الأوربى) .. فسوف تنافس بعض دول (أوربا) بعضها الآخر على الإنتاج .. وتطرح جميع منتجاتها فى الأسواق .. مما يخفض سعر المواد الغذائية فى العالم ..

وهذا سيعنى أن تشترى أموال المعونات كمًا أكبر من الطعام وتتزايد المعونات العينية ، وسيعطى هذا فرصة لإطعام عدد أكبر من الجياع فى العالم ..

ولكن هناك دولاً قد تتأثر ، إذا سادت وجهة النظر الألمانية كذلك .. مثل مصر .. التى تصدر البطاطس (لأوربا) .. والتى قد تصبح صادراتها غالية الثمن .. لو اعتمد قطاع الزراعة على الأسعار التنافسية لمختلف الدول الأعضاء فى الاتحاد .. وتم إلغاء الدعم الحكومى للسلع الزراعية ..

لن يؤدى قتل وزير الزراعة الفرنسى إلى تفكك الاتحاد الأوربى كما قد يظن البعض .. بل ستضطر (ألمانيا) تحت وطأة الضغط والاتهامات الموجهة من البعض .. بأنها قد استغلت وجود الرجل الذى يعادى سياستها الزراعية فى (ألمانيا) .. ودبرت لاغتياله .. إلى إحناء رأسها .. والسماح باستمرار الدعم الفرنسى للمنتجات الغذائية .. ووقتها ستسود سياسة دعم المنتجات الزراعية فى جميع دول القارة ..

ومع سياسة الدعم .. ترتفع أسعار المواد الغذائية العالمية .. وتنخفض داخل الاتحاد .. ولكن يُحظر تصديرها إلى الخارج إلا بأسعار عالية .. أو يتم منع التصدير إلا للمعونات .. وما أقل المعونات ..

مؤخرًا .. أصبحت (الولايات المتحدة) و (أوربا) هما سلال غذاء العالم .. والنزاع بينهما .. لايخصهما وحدهما كما ترون .. بل يخص العديد من دول العالم .. الدول التى تستورد من (الاتحاد الأوربى) والتى تصدر له ..

كما أن أسعار الغذاء ترتبط بتوازن القوى العالمى .. وبحسابات أخرى كثيرة ..

لقد كان (تيبالدى) وعملاؤه يلعبون لعبة خطرة جدًا .. تؤثر على حياة البلايين من البشر .. وليس الملايين فحسب .. ولابد أن يتم فضح هذا الأمر .. أو إيقافه .. أو حتى عرقلته .. إن كان هذا هو الممكن ..

يبدو أن أحدًا لم يهتم لتحذيرات (جو) المتحير ، والمرسلة إلى مختلف الجهات .. وظنوا أنها ربما هلوسة .. خاصة وأن الشخص الذى يرسل الإنذار .. لا يعرف طبيعة ما سيحدث بالضبط .. وأما (تاكاشى) فقد سافر ولم يعد بعد .. ماذا أفعل ؟

عاد الرجل الذى كان قد أتى (تيبالدى) قبل العملية مرة ثانية .. ومعه حقيبة وانصرف بدون الحقيبة ..

وفى تلك الليلة فتشت غرفة مكتب (تيبالدى) الداخلى .. وعثرت على الحقيبة ولم تكن مغلقة ..

كان بها كميات كبيرة من الرزم النقدية ، تتكون كل منها من مئات المئات من الدولارات .. لم أبذل مجهودًا فى عدها .. فالعدد فى الليمون ، كما يقول المصريون ..

المهم أنى عرفت ماذا تحوى الحقائب الفخمة ، التى يحضرونها فى كل مرة .. لقد كان (تيبالدى) يحصل على المال نقدًا .. ترتيب مناسب .. جدًا ..

فى اليوم التالى .. كان هناك المزيد من التفصيلات حول الحادثة فى (ألمانيا) ..

ذكرت الصحف أن القاتل هو مجرم محترف .. وقد استعمل بندقية بمنظار ، وجدت فوق إحدى العمارات المطلة على المعرض الزراعى ، الذى كان الوزير الفرنسى سيشارك فى افتتاحه ..

وقد كمن القناص ـ الذى يبحثون عنه الآن فى قوائم الأشخاص المدربين عسكريًا كقناصة ـ فوق سطح العمارة .. وحين ظهر الوزير خارجًا من سيارته .. تمكن القناص من إصابته بثلاث طلقات كاملة فى صدره ، وسط ثلاثة عشر رجلاً .. لم يصب أى منهم بسوء ..

وفى تلك الليلة فتشت غرفة (تيبالدى) الداخلى .. وعثرت على الحقيبة ولم تكن مغلقة ..

فى اليوم التالى .. اتصلت بـ (تاكاشى) من تليفون عمومى .. ووجدت رسالة على الأنسر ماشين تقول إنه قد عاد من رحلته إلى اليابان .. بالطبع لم أتحدث .. فسيسمع صوت طفل ..

دخلت على الأنترنت .. وعلى صفحة الويب بيج التى يصدرها (تاكاشى) كانت هناك الرسالة التالية موجهة لـ (جو) المتحير :

عزيزى (جو) :

أرجو أن تتوقف عما تفعله .. لقد تم توصيل رسائلك لأصدقائنا الذين يتابعون الموقف منذ البداية .. وهم يشعرون بالقلق ؛ بسبب أن التحذيرات التى ترسلها إلى مختلف الجهات قد تقع فى يد الشخص الخطأ ، مما قد يجعل الجناة يدركون أن هناك من انتبه لهم ..

أصدقاؤنا يخبرونك أن الموقف تحت السيطرة ، وهناك أدلة قوية يُتوقع لها أن تقود إلى الرجل الإيطالى .. أكرر : توقف عما تفعله .. وكف عن إرسال التحذيرات .. أخبرنى فقط بما يستجد ..

التوقيع :

صديقك (تاكاشى)

وأرسلت رسالة من (جو) المتحير (لتاكاشى) تلومه على ما حدث .. وتسأله إن كان أصدقاؤه بهذه البراعة .. فلماذا سمحوا لهذا الذى حدث أن يحدث ؟

كنت أعزى نفسى بأن ما حدث هو قدر اللّه عز وجل .. ولا راد لقضائه وقدره .. وأن البشر جميعًا لا يستطيعون منع المكتوب أو الحيلولة دون وقوعه ..

ولكنى كنت أعرف أن من رأى منكرًا فعليه أن يحاول تغييره .. وهذا الذى يحدث ليس مجرد منكر .. إنه مصيبة .. ويجب أن أحاول بأقصى جهدى تغييرها .. فأنا مسئول أمام اللّه عز وجل لأنى أعلم ..

ولكن كيف لى أن أغيرها ..

بالطبع لم أفكر قط فى أن أحمل بندقية وأذهب لقتل (تيبالدى) .. أو أتصرف أيًا من هذه التصرفات الصبيانية الحمقاء .. (فتيبالدى) هو قطعة من ذيل الأفعى .. و (تيبالدى) حيًا أنفع لرجال الشرطة منه عشرات المرات ميتًا ..

ولكن كيف أقود رجال الشرطة إلى (تيبالدى) ..

ربما توقفت عن إرسال التحذيرات لفترة .. تاركًا (تاكاشى) وأصدقاءه يتصرفون .. ولكنى لم أكن أثق كثيرًا بـ (تاكاشى) وأصدقائه ..

ما الذى جعل (تاكاشى) يختار هذا الوقت بالذات للتغيب والسفر ؟

لماذا لم يقم أى من أصدقائه بإرسال الرسائل على مدخل الأنترنت الخاص به .. ومتابعة الردود بالنيابة عنه ؟ وإذا كان

له أصدقاء .. وكانوا يعرفون بالأمر .. فلماذا لم يوقفوا الرجل الإيطالى .. إن كان قد أفلت منهم فهم أقل مهارة مما يجب .. أما إذا كانوا قد تركوه .. فربما لم تكن مصالحهم تتفق بالضرورة مائة بالمائة مع مصالحى ..

المشكلة أننى أمضى بالنسبة لهذه المسألة معصوب العينين .. ولا أرى سوى جزء من الصورة ..

المشكلة أيضًا أن خطة (تيبالدى) وأعوانه هى خطة لاتسرب الماء، كما تقول الجملة المصرية المعروفة ..

كل ما على مَنْ يريد إحداث مصيبة فى العالم أن يتصل بسمسار الموت الأخ (تيبالدى) .. عن طريق إرسال مبعوث أنيق .. ربما كان أحد رجال البنوك .. أو محاميًا رفيع المستوى .. شخصًا يستطيع أن يفلت إذا تم تضييق الحصار عليه ..

وأكاد أجزم أن هذا المبعوث لا يعرف شيئًا عن المراتب العليا ممن أرسلوه .. هذا المبعوث يلبس ثيابًا أنيقة، لا تدل على شخصيته .. ويرتدى قفازًا .. ويركب تاكسيًا، حتى لا يمكن تتبعه ..

ويأتى المبعوث لـ (تيبالدى) حاملاً حقيبة مليئة بنقود لا تحمل علامات يمكن تتبعها .. ويترك المال فى يد الشخص الذى يقف على بوابة الجانب الآخر ..

الجانب التنفيذى .. (تيبالدى) .. سمسار المهام القذرة .. وإذا تمت المهمة بنجاح .. يعود الرجل ذو الحلة والقفازات الأنيقة حاملاً بقية المقاولة .. وبهذا يكون عدد كبير من الناس قد مات .. أو أفلس .. وفقدت المالية من استثمارات وخلافه .. وتم تكريس الفقر والظلم فى بقاع مختلفة من العالم ..

أما من جانب (تيبالدى) .. فكل ما عليه أن يفعله هو أن تكون له صلة بمنظمة قوية من المنظمات الصاعدة الواعدة ، التى أنشئت حديثًا فى العالم .. خاصة بعد انهيار (الاتحاد السوفيتى) .. والتى تتصل بالعديد من المجرمين فى مختلف التخصصات ..

ويذهب أحد هؤلاء المجرمين .. من التخصص المناسب .. إلى المكان الذى ستتم العملية فيه بصفة سائح .. ضمن وفد سياحى .. يمكث عدة أيام يجوب البلاد مع الوفد .. وفى الوقت المناسب قبل رحيله مباشرة .. ينفصل السائح عن الوفد .. ويضرب ضربته ..

وفى اليوم التالى يكون قد عاد من حيث أتى .. وللزيادة فى الاحتياط .. يكون السائح من جنسية أخرى غير جنسية الدولة التى انطلق منها .. يدخلها باسم مستعار .. ويدخل الدولة التى سيقوم بالمهمة فيها باسم مستعار ..

وفى النهاية يلقى بأسمائه المستعارة كلها .. ويذهب إلى أى دولة ثالثة من دول العالم .. وليس هناك ما يقيده .. خطة ممتازة .. ولكن الحق يعلو ولا يُعلى عليه ..

اتصلت بـ (تاكاشى) فى اليوم التالى .. ووجدت على صفحة الويب الخاصة به رسالة تقول لـ (جو) :

ـ إنه آسف لأن أصدقاءه قد فقدوا أثر الرجل الإيطالى لعدة ساعات ، قبل أن يضرب ضربته مباشرة .. وأن العملية فى (ألمانيا) كانت خطأ لن يتكرر .. ويحثنى على الاستمرار فى نقل المعلومات إليه أولاً فأولاً .. وعدم إرسال تحذيرات لأية جهة أيًا كانت .. بغرض المحافظة على السرية ..

فى الأيام التالية .. لم يحدث شىء .. وأحسب أنى تكاسلت قليلاً .. فهناك الآن .. من يعرف بالأمر كله .. ويحاول متابعته .. وما علىّ إلا الانتظار ..

استمررت فى التكاسل ، حتى فتحت الباب يومًا وأنا ذاهب إلى حديقة البيت .. لأجد رجلاً لم أره من قبل .. يلبس معطفًا رماديًا .. تحته حلة رمادية .. ويحمل حقيبة رمادية .. ويلمع من فرط فخامة ثيابه .. مندوب عزرائيل ..

★ ★ ★

٢٤ ـ المهمة الأخيرة ..

انتفضت من مكانى وتراجعت إلى الوراء وأنا أشهق .. فقد تقطعت أنفاسى فجأة بمجرد رؤية الرجل .. ولاحظ الرجل خوفى بالطبع ، وحمحم وهو ينظر لى باسمًا ، فقلت :

ـ معذرة يا سيدى .. لم أكن أعرف أن هناك أحدًا خلف الباب عندما فتحته .. ولهذا فوجئت قليلاً ..

ورفع الرجل قبعته عن رأسه .. وهو ينظر حوله بتأفف واضح .. أحسب أن ديكور منزل (تييالدى) ليس على المستوى اللائق .. وقال :

ـ لا عليك يا بنى .. هذا وارد دائمًا .. هلا أخبرت السيد (تييالدى) أن السيد (سميث) قد حضر طبقًا للميعاد ..

كانت ألمانية الرجل شىء واضح كرائحة الشىَ فى الكباب .. كل شىء فيه يقول : أنا (ألمانى) .. ولابد أن اسمه الأول هو هانز أو جونتر .. لا أدرى من أين يأتون بهذه النماذج الممثلة تمامًا لثقافاتها ..

وكدت أقول له : تفضل يا هر (شميدت) ، وهو المقابل الألمانى لاسم (سميث) الإنجليزى .. ولكنى أمسكت لسانى عند آخر لحظة ..

وقلت بترحاب وأنا أبتسم ابتسامة طفولية رائعة :

ـ تفضل يا مستر (سميث) .. سأقودك بنفسى إلى أبى ..

أمسكت المنظار المقرب .. وجلست على إفريز النافذة من الخارج .. برج المراقبة .. وكانت المراقبة مثمرة .. فقد خرج الرجل هذه المرة أيضًا بدون حقيبته ..

فى تلك الليلة تسللت بعد صلاة الفجر إلى غرفة مكتب (تييالدى) الداخلى .. وقمت بالمهمة الروتينية المعتادة .. فتحت الحقيبة .. نفس الرزم .. وكلها من فئة المائة دولار ..

فتحت درج (تييالدى) لعله قد حرر الشيك ..

كان الشيك صادر لحامله بمليون دولار على بنك بـ (إنجلترا) ..

وكدت أصرخ ذعرًا .. عندما قرأت العنوان على الظرف الذى سيُرسل فيه الشيك ..

كان الظرف علَى عنوان بإنجلترا .. باسم السيد (محمود عبد الحميد زكى) .. الإرهابى فى هذه المرة عربى .. وربما مصرى ..

مليون دولار فى يد إرهابى عربى .. ماذا سيفعل ..

كانت الاحتمالات التى تتسارع وتتصارع فى رأسى مخيفة .. يجب أن يتم إيقاف هذا الرجل بأى ثمن .. بأى ثمن ..

المهم أننى يجب أن أعرف هذه المرة بأسرع ما يمكن إلى أين يذهب هذا الرجل ..

بعد أسبوع .. وصلت إلى المعلومة .. سحب الرجل من بنك (إنجلترا) المبلغ .. وأودعه فى حساب بنفس البنك باسم السيد (محمد عبد الكريم على) .. وقام الرجل باستصدار بطاقة ائتمان ، دفع منها مبلغ لشركة سياحة ..

وحين دخلت على شركة السياحة .. اكتشفت أن المبلغ كان اشتراكًا فى رحلة سياحية على باخرة .. تطوف خلال أسبوعين العديد من موانئ الشرق الأوسط ..

كانت الرحلة تمر (بتركيا) و (لبنان) و (سوريا) و (مصر) .. وكانت الرحلة محجوزة باسم السيد (على عبد العزيز محمد) ..

كان الوقت من ذهب .. لا وقت للاعتماد على (تاكاشى) .. ونوايا أصدقائه وكفاءتهم .. وعلى أن خطأ الرجل الإيطالى لن يتكرر .. يجب أن أحذر الضحايا .. وإلا فلن أصفح عن نفسى لو مر هذا الرجل ..

أرسلت عشر خطابات إلى وزارة الداخلية المصرية ..

وعشر خطابات إلى وزارة الداخلية السورية ..

وعشر خطابات إلى وزارة الداخلية اللبنانية ..

وعشر خطابات بالإنجليزية إلى وزارة الداخلية التركية ..

وفى داخل كل خطاب .. كان يوجد مظروف أصغر ، عليه طوابع بريدية ، وموجه إلى مدير المخابرات بالدولة التى أرسلت

إلى وزارة داخليتها الخطاب الخارجى .. وأرسلت إلى سفارات كل هذه الدول فى (الولايات المتحدة) و (إنجلترا) ..

ابتعدت عن التفصيلات .. كل ما ذكرته أن يوم كذا تم تحويل مليون دولار من بنك بنيويورك إلى بنك ببلجيكا ..

.وقد قام رجل بولندى باسم (يارسكى) أو (تارزوفسكى) بسحب مبالغ مالية من المليون بالحساب بـ (بلجيكا) وسافر إلى (تركيا) .

ثم حدثت كارثة المبنى التجارى فى (تركيا) قبل عودة الرجل إلى (بلجيكا) بيوم واحد ..

ثم تم تحويل مليون دولار فى تاريخ كذا إلى بنك بسويسرا ، وهناك قام شخص اسمه (مارينو) أو (سانتينى) بسحب مبالغ مالية من الحساب وسافر إلى (ألمانيا) ..

وهناك تم اغتيال وزير الزراعة الفرنسى قبل عودة الرجل إلى (سويسرا) بيوم واحد ..

وقد صدر من نفس الحساب منذ أيام تحويل بمبلغ مليون دولار لشخص اسمه (محمد عبد الكريم على) أو (على عبد العزيز محمد) .. وسوف يقوم الرجل برحلة سياحية إلى الشرق الأوسط ، على ظهر باخرة ، تمر بكل من (تركيا) و (مصر) و (لبنان) و (سوريا) ..

وكانت الرسالة التى لخصتها فى آخر سطرين من الخطاب بخط كبير وغامق واضحة جدًا :

هناك إرهابى أجير تَلَقَى مليون دولار ليقوم بعملية إرهابية فى بلادكم .. أدركوه .. أوقفوه .. لا تتركوه يهرب .. ثم نندم كلنا على ما سيفعله ..

وفى الأسفل تركت ملحوظة صغيرة :

ـ إن التحويل من حساب نيويورك قد تم بوساطة السيد المحترم (كارلو تيبالدى) القاطن بعنوان كذا .. وعنوانه على الشبكة الدولية هو كذا ..

قسمت الخطابات إلى عشر مجموعات .. تضم كل منها خطابًا من كل مجموعة مرسلة لنفس الجهة .. وأرسلت الخطابات كلها بالبريد السريع الدولى .. كل مجموعة من مكتب مختلف للبريد السريع ..

أرسلت بمعلوماتى لـ (تاكاشى) .. راجيًا إياه أن يسرع بالتصرف .. وألا يحدث خطأ فى هذه المرة أيضًا .. فيجب الوصول إلى المجرم قبل أن يرتكب جريمته .. وإلا فلن أحتاج لمعاونته ومعاونة أصدقائه فى المستقبل ..

كذلك أردت أن يُسرع أصدقاء (تاكاشى) بالتصرف .. فلا يمكن لهذا الأمر أن يستمر سنين حتى ينتهوا مما يفعلونه .. خاصة وأن المسافة بين العمليات المختلفة كانت فى الماضى أسابيع وأصبحت الآن أيام ..

ولهذا أرسلت خطابات بالبريد السريع لوزارة الخارجية الألمانية .. والسفارة الألمانية ، والسفارة الإنجليزية ، بالولايات المتحدة .. أذكر فيها معلوماتى ..

كانت هناك رسالة عاجلة على صفحة الويب بيج الخاصة بـ (تاكاشى) بعد أسبوع .. وكرر فيها (تاكاشى) طلبه لى بالتوقف عن إرسال الإنذارات .. فأصدقاؤه يعرفون بالأمر ، وسيتصرفون بشكل عاجل .. ولكنى كنت أعرف أن العاجل بالنسبة لهم هو عدد من السنين ..

واستمررت فى إرسال الخطابات إلى مختلف الجهات ..

لا أعرف أى مجموعة من الرسائل بالضبط أتت بالنتيجة المرجوة .. لكنى كنت بالبيت فى يوم الأحد .. فى العطلة الأسبوعية ..

لم يكن (جو) قد أتى بعد .. وكان (تيبالدى) فى مكتبه الداخلى .. ورن جرس الباب .. وذهبت لأفتحه .. لأجد رجلين .. أحدهما طويل نحيف ، والثانى قصير .. وإن كان من الواضح أنه قوى البنية ..

وراقبت الرجلين .. المظهر المتحفظ .. وأسلوب من يعرف أنه يمتلك السلطة .. والمسدسات التى تبدو كانتفاخات تحت الحُلل الرجالى .. حيث تم تعليق جرابى المسدسين ..

لم أحتج إلى أن يخبرنى أحد أنهما من رجال الشرطة .. وليس أى شرطة ..

★ ★ ★

٢٥ ـ رجال الشرطة ..

لم يتحدث أى من الرجلين .. ولكنى ابتسمت وقلت :

ـ لابد أنكم تريدون أبى .. (كارلو تيبالدى) .. اتبعانى وسأقودكما إليه ..

ودخل الرجلان خلفى وأغلقا الباب .. ولاحظت (اليزابيث) الخادمة قادمة من بعيد .. ونظرت بفضول .. أحسب أنها أحست بما أحسست به عندما رأيت الرجلين ..

وقالت :

ـ أهناك شىء ؟

وقلت لها :

ـ لا عليك يا (اليزابيث) .. إنهما يريدان أبى وسأوصلهما إليه بنفسى ..

آه .. وهل تأتينى كل يوم لحظة السعادة التى آتيك فيها برجال الشرطة يا عزيزى (تيبالدى) .. وهل سآتى برجال الشرطة لأعز منك .. إن حضورهم هو نتاج أشهُر من العمل الدائب .. أفلا أقطف ثمرة تعبى .. وأشهد اللحظات الأخيرة لوداعك يا عم (تيبالدى) ؟

فتحت الباب .. ودخلت مكتب (تيبالدى) الداخلى .. وظهر من خلفى الرجلان .. ودخلا المكتب .. بالطبع لم يكن لدى (تيبالدى) أى فكرة عن سبب حضور الرجلين .. ووجه لى نظرته النارية .. ولكنى لم أتراجع .. بل دخلت غرفة المكتب بعد الرجلين (بتناحة) ، وأغلقت خلفى الباب .. وبقيت مكانى أراقب المنظر البديع ..

قال الرجل الطويل النحيف :

ـ السيد (كارلو تيبالدى) ؟

ورد (تيبالدى) :

ـ نعم .. أنا هو .. من أنتما ؟

ورد الرجل :

ـ العميلان .. (جوب) و (ميريت) .. من المباحث الفيدرالية ..

ونظر الرجل إلى الكرسى المتحرك الذى يجلس عليه (تيبالدى) وقال :

ـ ونحن للأسف مكلفان بالقبض عليك ..

كما يقول الأمريكيون .. مفاجأة .. مفاجأة ..

ورد (تيبالدى) بدهشة :

ـ تقبضان علىّ .. أنا .. لماذا ؟

ورد الرجل :

ـ التهمة هى خرق قوانين العمل على شبكة الأنترنت .. لوحظ أن هناك أعمال اختراق شبكات تتم عن طريق الموقع الخاص بك على شبكة الأنترنت ..

اندهشت للتهمة .. كنت أعرف أنهم عادة يوجهون التهمة الأقل .. ويستجوبون المتهم على أساسها .. ثم بعد أن يوقع نفسه فى العديد من التناقضات .. ويدلى بمعلومات جديدة .. يفاجئونه بالتهمة الأكبر .. ويستغلون ما قاله خلال دفاعه الأول ضده ..

ولكن هذه التهمة تعنى أنهم قاموا بمتابعة حركة الموقع الخاص به .. وهذا لا يتأتى إلا بتركيب برنامج يتتبعه على الكمبيوتر الخاص به .. أو ربما ..

ولمعت الفكرة فى رأسى .. تركيب برنامج يتتبع دخوله على الشبكات المختلفة ، على الخادم الخاص بالشركة ، التى تمده بخدمة التوصيل بالشبكة الدولية للمعلومات ..

هذا معناه أن أصدقاء (تاكاشى) كانوا فعلاً يقومون بعملهم .. ولم يكن الأمر مجرد كلام ..

كانت العقوبة المتوقعة لهذه التهمة هى حوالى أربع سنوات فى السجن .. وهذا بالطبع .. ما لم يكن محامى (تيبالدى) بارعًا ..

وقال (تيبالدى) :

ـ هل تسمحان لى بالاتصال بالمحامى الخاص بى ..

وقال الرجل الطويل ، الذى كان الوحيد الذى يتحدث من بين الرجلين حتى الآن :

ـ فى الواقع .. الأمر لن يتعدى إلقاء بعض الأسئلة عليك هذه المرة .. ولكن بالطبع .. من حقك أن تتصل بالمحامى الخاص بك يا سيد (تيبالدى) .

واتصل (تيبالدى) بالمحامى الخاص به .. وخفض صوته وهو يتحدث إلى محاميه ..

لم يكن بإمكانى أن أسمع أى شىء .. وكنت أراقب الرجلين ..

وقال (تيبالدى) بعد إنهاء حديثه مع المحامى الخاص به يحدث الرجل الطويل :

ـ هل تسمح لى بتغيير ثيابى ؟

ورد الرجل :

ـ طبعًا .. تفضل يا سيد (تيبالدى) ..

وخرجت خلف (تيبالدى) والرجلين ، وأغلقت خلفى باب المكتب .. بعد أن وضعت المفاتيح التى تركها (تيبالدى) على المكتب فى جيبى ..

دخل (تيبالدى) إلى غرفته ليغير ثيابه .. وبقى الرجلان خارجًا معى فى الصالة ..

وقلت للرجل الطويل النحيف :

ـ أليس من الأفضل أن تصحبه وهو يغير ثيابه ويستعد ؟

ونظر الرجل لى كما ينظر المرء لصرصار .. ثم نظر إلى السقف وهز كتفيه وقال بملل :

ـ لا داعى لذلك أيها الصغير ..

وقلت وأنا أنظر بدورى للسقف :

ـ نعم .. ولكن هل تعرفان أن غرفة نوم أبى تطل على الحديقة حيث تقف السيارات .. كما أن أبى ليس مقعدًا تمامًا .. فيمكنه بسهولة أن يتحرك على عكّازين .. وأعتقد كذلك أنه يحتفظ فى غرفة نومه بسلاح نارى ..

لم أكد أنهى جملتى ، حتى أسرع الرجل الطويل يدفع باب غرفة النوم ويلحق بـ (تيبالدى) ..

نعم .. الحذر لن يضر شيئًا .. فسوف ألوم نفسى بقية حياتى .. لو ـ لا قدّر الله ـ هرب (تيبالدى) بسبب شفقة هذين الرجلين .. على المقعد المسكين ..

بقى الرجل الثانى معى فى الردهة .. ونظر لى بإمعان وقال :

ـ إنك لا تحب أباك .. أليس كذلك ؟

ورددت عليه باندهاش شديد :

ـ أنا .. أكره زوج أمى .. ما الذى أوحى لك بهذا ؟ إنكم لم تستصدروا أمرًا بتفتيش البيت بعد .. أليس كذلك ؟

ورد الرجل :

ـ كلا .. ولماذا نستصدر أمرًا بتفتيش البيت ؟

وأجبته بدون اهتمام وأنا أنظر للسقف :

ـ خسارة .. فسرعان ما يأتى عماى (باولو) و (ستيفانو) .. وقد يعبثان بأوراق أبى المهمة جدًا والموجودة فى مكتبه ..

ونظر الرجل لى بإمعان وقال :

ـ إنك تعرف الكثير .. أليس كذلك ؟

وأعطيته أفضل ابتساماتى الطفولية وأنا أقول :

ـ نعم .. فأنا فى الصف الرابع الابتدائى ..

كان أبى العزيز (تيبالدى) يغادر المنزل على كرسيه المتحرك .. ووقفت أتراقص أمام فتحة الباب وهو خارج وحين دنا منى قلت له :

ـ لا تقطع الخطابات ..

ورد (تيبالدى) :

ـ ماذا يا (لويجى) ؟

وكررت : أرسل لنا خطابات ، حتى نعرف أحوالك ..

وبدا على (تيبالدى) الاندهاش الشديد وهو يقول :

ـ خطابات .. لماذا ؟ .. إنها مجرد ساعات .. وسأعود ..

متفائل .. جدًا .. وبالطبع فقد كان على حق .. كان ما سيغيبه عن البيت هو ساعات فعلاً ، ولكن هذا إذا ما قارناه بعمر البشرية .. فما قيمة ثلاثين أو أربعين عامًا مقارنة بعمر البشرية .. إنها مجرد ساعات ..

تلكأ القصير العريض المنكبين ، بعد أن مضى زميله يقود كرسى (تيبالدى) المتحرك .. كان ينظر لى وقلت له :

ـ هل لديك رقم تليفون .. يمكننى أن أتصل بك فيه ؟

وأخرج الرجل بطاقة وأعطانى إياها وهو يقول :

ـ لماذا ؟

وقلت له :

ـ فى حالة قدومكم للتفتيش فى أثناء وجودى بالمدرسة أو غيابى عن المنزل ..

توجد فى أعلى البيت إلى أقصى اليمين .. غرفة يستخدمونها كمخزن للأثاث القديم .. وبها دولاب ضخم .. لو نزعت أدراجه السفلية .. لوجدت فراغًا كبيرًا جدًا يستوعب جميع الأوراق وأسطوانات السى دى والديسكات الموجودة فى مكتب (تيبالدى) .. وهذا المكان يتميز بميزة خاصة .. فالغرفة نفسها

لا تُنظّف إلا مرة كل شهر .. ولا أعتقد أن أحدًا من الخدم يعرف بوجود هذا المكان ..أو يهتم بتنظيفه ..

وسمعنا نداء .. وسرعان ما أشار لى الرجل القصير وهو يسرع خلف زميله ويقول :

ـ سأتذكّر ذلك ..

وما إن رحل الرجلان مع (تيبالدى) حتى أسرعت أفتح باب غرفة (تيبالدى) الداخلية ..

لم أكن أنظر فى الأوراق .. بل أسرعت أسحب الدوسيهات وأفرشها فى رزم ، واضعًا الرزم الورقية داخل أكياس بلاستيكية أغلقها بإحكام ..

أما أسطوانات السى دى وديسكات الكمبيوتر فقد كانت موجودة داخل علب .. حملت كل هذا من باب الحديقة وأخفيته خلف بعض الشجيرات ..

عدت إلى البيت كى أراقب الجو .. كان (براون) واقفًا يطهو الطعام فى المطبخ ، بينما كانت (اليزابيث) تنظف غرفة نوم (تيبالدى) ..

وقدرت أن الوقت مناسب لحمل الأوراق إلى داخل البيت .. ولكن فجأة وجدت أمامى .. خمنوا مَنْ .. عمى العزيز (ستيفانو) .. أحد حارسى (تيبالدى) ..

★ ★ ★

٢٦ ـ عمى (ستيفانو) ..

سمعت أن عمى العزيز (باولو) مسافر .. داهية لاترجعه .. أما لماذا بقى (ستيفانو) .. فهذا لغز بالنسبة لى ..

فأنا لم أرهما من قبل .. إلا معًا .. حتى ظننت أنهما كالتوءم السياميين اللذين لا يفترقان أبدًا ..

يبدو أن (اليزابيث) قد اتصلت بالأخ (ستيفانو) .. وأبلغته أن هناك من أخذوا أبى ، وأنها تظنهما من رجال الشرطة ..

كنت أحس بالذعر .. يمكن رؤية الأوراق التى كومتها فى الخارج من بين الشجر .. لو جوّل أحدهم حول الفيلا .. كما يمكن لـ (ستيفانو) أن يمسح المعلومات الموجودة على ذاكرة أى من الكمبيوترات الموجودة فى مكتب (تيبالدى) الخارجى .. أو على جهاز الكمبيوتر الموجود فى مكتب (تيبالدى) الداخلى ..

يمكن لهذا الأحمق (ستيفانو) أن يدمر كل ما بنيته فى الفترة الماضية ..

كان (ستيفانو) يحدث (اليزابيث) ويسألها :

ـ ألم يقولا مَنْ هما ؟

وجئت من خلفه وأجبته عن سؤاله الذى يسألنى إياه :

ـ قالا إنهما من رجال المباحث الفيدرالية .. وأن لديهما أمرًا بالقبض على أبى ..

ونظر لى (ستيفانو) بشدة وقال :

ـ هل أنت متأكد ؟

وأجبته :

ـ نعم .. فأنا الذى صحبتهما إلى مكتبه .. وبمجرد دخولهما .. طلب أبى التحدث إلى محاميه ..

وانطلق (ستيفانو) يجرى نحو غرفة مكتب (تيبالدى) الداخلية .. حاول فتح الخزانة .. ولكنه لم يستطع .. وحملها ووضعها على المكتب .. تمهيدًا على ما يبدو لحملها إلى الخارج .. كنت قد نسيت الخزانة ..

وانطلق (ستيفانو) يفتح الأدراج .. وبالطبع كانت خالية تمامًا من الأوراق .. وكذلك الدوسيهات .. وسأل (ستيفانو) (اليزابيث) :

ـ أين الأوراق والديسكات ؟

وقلت له :

ـ لقد أخذها رجال المباحث الفيدرالية ..

وقالت (اليزابيث) :

ـ كلا .. كلا .. لقد خرجا بدون أن يحملا شيئًا معهما ..

وقلت أنا :

ـ لقد فتحا باب المكتب من ناحية الحديقة لرجل ثالث فدخل وكان يجمع الأوراق والأشياء الأخرى فى أثناء حديث أبى مع محاميه .. حتى هذه الخزانة .. أخذوا كل المال الذى كان فيها .. وكل الأشياء الأخرى ، ثم تركوها خالية ..

كان الباب الداخلى مغلقًا .. فلم تر (اليزابيث) الرجل ..

وقال (ستيفانو) يحدثنى :

ـ وهل سألهما (تيبالدى) عن إذن تفتيش ؟

وأجبته :

ـ أنا لا أعرف هذه الأشياء لأنى صغير ..

وقال (ستيفانو) وهو يجذبنى نحوه بشدة :

ـ حاول أن تركز معى .. هل قالا ما هى التهمة ؟

وقلت :

ـ لقد سمعت الرجل يقول : إننا نتهمك .. وتوقفت عن الحديث .. وكأننى أحاول التذكر .

وقال (ستيفانو) وهو يستحثنى :

ـ بماذا .. حاول أن تركز .. سأحضر لك حلوى ..

وأجبته :

ـ قال .. إننا نتهمك .. بالتآمر والانتهاب ..

ورد (ستيفانو) :

ـ تقصد التآمر والإرهاب ..

وأجبته وأنا أبتسم :

ـ نعم .. نعم .. إنك ذكى جدًا يا عمى (ستيفانو) .. لقد عرفت الكلمات حتى دون أن تسمعها ..

هذه هى الكلمات التى استعملها رجل المباحث الفيدرالية .. ولكن هل تعرف كلمة .. « أدلة حاسمة » .. قلت هذا وكأنى أمتحنه ..

وقال (ستيفانو) بقلق :

ـ أدلة حاسمة .. هل قال رجل الفيدراليين لـ (تيبالدى) أن لديهم أدلة حاسمة ؟

وأجبته :

ـ كلا .. لم يقل رجل الفيدراليين هذه الكلمة لأبى .. بل قال أبى لمحاميه على التليفون بصوت خافت :

ـ « إن لديهم أدلة حاسمة » ..

وبدا على (ستيفانو) الذعر الشديد فجأة .. وأسرع يجرى وهو يقول لى ولـ (ليزابيث) :

ـ لا تخبرا أحدًا أننى قد أتيت .. فإن ورائى موعدًا مهمًا تذكرته فجأة ولا بد من الالتزام به ..

وكنت أعرف بالطبع ما هو الموعد المهم .. فـ (ستيفانو) سيكون الليلة فى (المكسيك) أو (بوليفيا) .. أو أى مكان خارج (الولايات المتحدة الأمريكية) .. سيطلق ساقيه للريح .. ومن يبالى بذلك .. حين تقطع رأس الأفعى .. لا تفكر فى ذيل الذئب .. بالإضافة إلى أن وجوده قد يعقد الأمور .. وليس بإمكانى منعه على أى حال ..

حين أتت أم (لويجى) بعدها بساعتين كنت قد أنهيت نقل جميع الأوراق والديسكات والسيديهات والأموال والأوراق والأشياء الأخرى الموجودة بالخزانة إلى المخبأ الذى ذكرته لرجل المباحث الفيدرالية ..

كانت (اليزابيث) تقص على أم (لويجى) ما حدث منذ خروجها .. من القبض على (تيبالدى) .. وما فعله رجال المباحث الفيدرالية .. و (ستيفانو) الذى ذهب للالتزام بموعد مهم ..

كانت أم (لويجى) تحدث (اليزابيث) وتسألها :

ـ ألم يقل (ستيفانو) ما هو الموعد المهم الذى عليه الالتزام به ؟

وأجبتها أنا :

ـ كلا .. ولكنى سمعته يحدث نفسه بشىء غريب ..

ونظرت لى أم (لويجى) وهى تقول :

ـ شىء غريب !! ما هو ؟

أجبتها :

ـ وهو يفتح باب البيت .. كان يقول لنفسه : « على العموم .. (المكسيك) جميلة فى هذا الوقت من السنة » ..

وردت أم (لويجى) .. وقد شحب لونها .. وبدت عليها أمارات الصدمة :

ـ (المكسيك) !!

وأجبتها :

ـ نعم .. نعم .. هذا ما خيل لى أنه قاله .. ربما ذهب لموعد له علاقة بالجغرافيا ..

وحملقت فى أم (لويجى) لبرهة وجيزة .. ثم ضربت قدمها بالأرض فى يأس .. واندفعت إلى غرفة نومها .. وأغلقت خلفها الباب بالمفتاح ..

كنت أمر بالصالة بعد فترة عندما دق جرس التليفون .. ورفعت أم (لويجى) السماعة .. وقالت :

ـ (كارلو) .. أين أنت .. كانت بالطبع تحدث (تيبالدى) ..

واستمعت لحظات ثم قالت :

ـ (ستيفانو) هرب إلى (المكسيك) .. وأحسب أنه ولا بد قد اتصل (بباولو) فى (إيطاليا) وحذره ليهرب بدوره ..

كنت أقف وأنا أسمع ما تقوله حينما قالت :

ـ أنا ؟؟ أنا ؟؟ كلا .. لا أستطيع .. لا أستطيع يا (كارلو) ..

ويبدو أن الخط قد انقطع .. لأنها هزت سماعة الهاتف بغيظ ثم وضعتها بشدة فى مكانها .. وانطلقت مرة ثانية إلى غرفتها .. وأغلقت الباب بعنف .. وسمعتها تُذرِّع الأرض داخل الغرفة .. ما بال هذه المجنونة ؟ ألا تحمد الله على أنها قد تخلصت من (تيبالدى) ..

ما علينا .. ستغضب قليلاً .. ثم تدرك أنه لا جدوى من هذا ..

ذهبت بدورى إلى غرفتى ونزلت فى الساعة السابعة .. حين أحسست بـ (جو) يفتح باب غرفة مكتب (تيبالدى) الخارجى ..

كان كل من (اليزابيث) وبروان قد انصرفا .. وكانت أم (لويجى) فى غرفتها .. لم أخبر (جو) بأنه قد تم القبض على (تيبالدى) .. حتى لا يسرع بالهرب .. أردت أن أخبره بما فعلته .. وأن أجعله يتعاون مع الفيدراليين ، على أنه هو

الذى أرسل إليهم الخطابات ورسائل البريد الإلكترونى منذ البداية .. وبهذا يُعتبر ضمن الشهود ..

جلست أتحدث مع (جو) لفترة .. لم يكن (جو) يعرف أى شىء عن سبب نقل الأموال ضمن عدة حسابات ، ولم يكن يريد أن يصدقنى ..

فتحت أم (لويجى) باب غرفة المكتب الخارجى .. ودخلت علىَّ أنا و (جو) ..

لزمت أنا الصمت بينما نظر لها (جو) بدهشة وقال :

ـ السيدة (تيبالدى) .. أنا آسف جدًا لما حدث لك بالقبض على زوجك ..

كانت أم (لويجى) ترتدى ملابس الخروج .. وقد ارتدت معطفًا واقيًا من المطر ..

ولم ترد أم (لويجى) على (جو) .. بل لفتت رأسها ناحيتى وقالت :

ـ (لويجى) .. اصعد إلى غرفتك ..

شىء ما فى لهجتها أرعبنى ..

ربما كان من الأفضل لو تركت (جو) يهرب من الشرطة .. وعاد لى صوتها على التليفون يرتعش ويقول :

ـ « أنا ؟ أنا ؟ كلا .. لا أستطيع .. لا أستطيع يا (كـارلو) .. » ترى ما الذى لا تستطيع فعله ؟

كان هناك خاطر مرعب يمر برأسى عندما قالت أم (لويجى) مرة أخرى :

ـ اصعد إلى غرفتك يا (لويجى) ..

وهززت رأسى بالنفى .. وأنا أتقدم لأقف أمام (جو) الجالس على الكرسى ..

★ ★ ★

٢٧ ـ النهاية الحزينة ..

أخرجت (جينا تيبالدى) يدها من معطف المطر ، الذى كانت تلبسه .. وكان بيدها مسدس قبيح المنظر .. مزود بماسورة طويلة .. كاتم للصوت ..

وأطلقت (جينا تيبالدى) رصاصتين .. استقرتا فى رأس (جو) .. هكذا ببساطة ..

وسقط (جو) فوقى .. دافعًا بى إلى الأرض ..

قمت وأنا أدفع بالجثة بعيدًا عنى .. وقد تملكنى الرعب ..

كانت (جينا تيبالدى) تقف مكانها .. وهى تحملق فىَّ .. وقالت :

ـ (لويجى) .. لقد اضطررت لهذا .. اضطررت أن أفعل هذا .. من أجلنا .. من أجل (كارلو) ..

كان هناك شىء رأيته الآن .. بوضوح .. وإن كنت أحس به بقوة من قبل .. وهذا ما جعلنى أرفضها وأرفض احتضانها لى فى المستشفى منذ بداية دخولى جسد (لويجى) ..

إنها ليست امرأة .. إنها وحش كاسر .. إنها أسوأ حتى من أى وحش كاسر .. إنها إنسانة خالية تمامًا من المشاعر .. إن

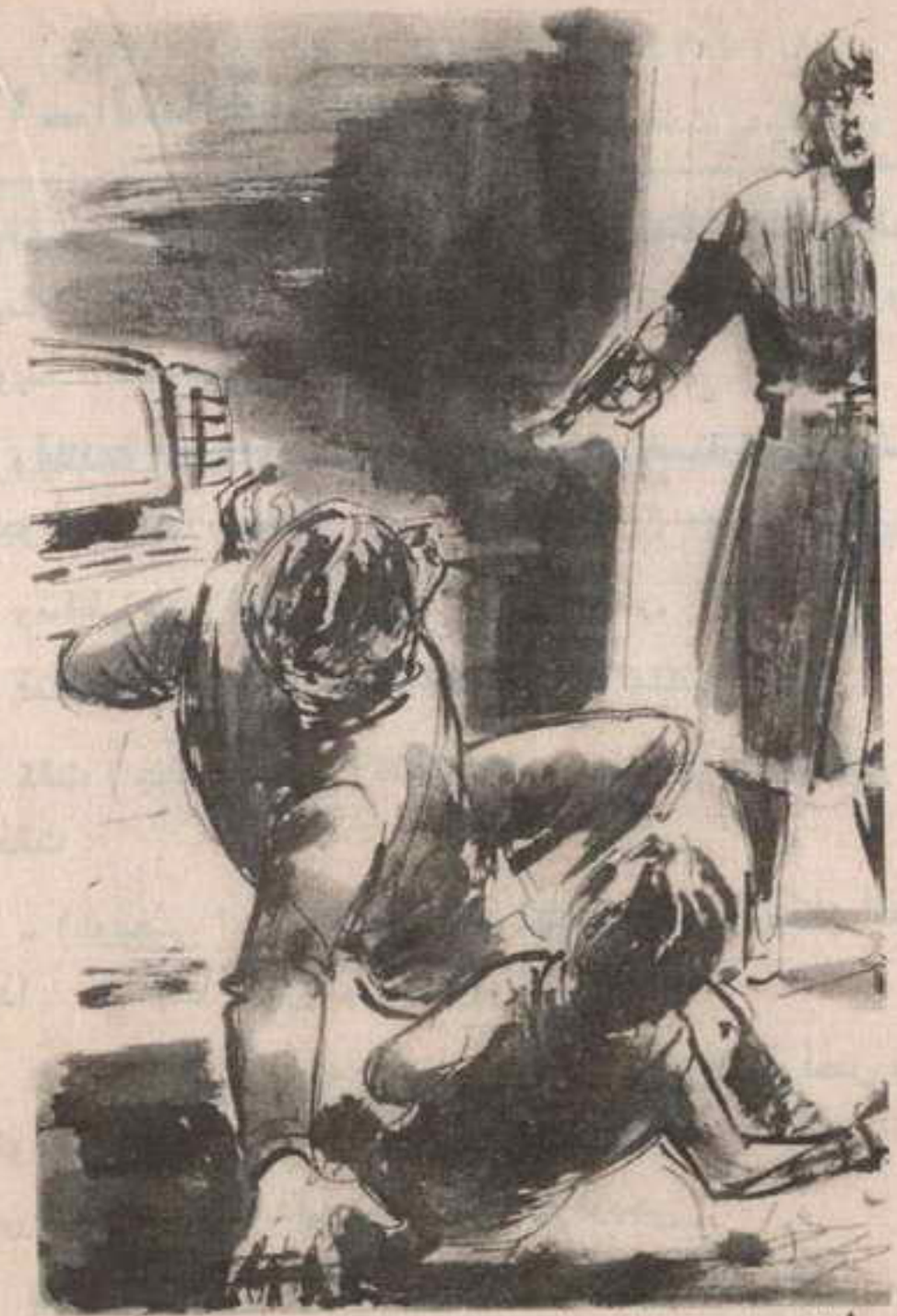

وأطلقت (جينا تيبالدى) رصاصتين .. استقرتا فى رأس (جو) .. هكذا ببساطة .. وسقط (جو) فوقى .. دافعًا بى إلى الأرض ..

إحساسها بالعالم ينحصر فى إحساسها بجلدها فقط .. أما شعورها بالآخرين فمعدوم ..

وعادت (جينا تيبالدى) تقول :

عليك أن تساعدنى يا (لويجى) .. يجب أن نتخلص من هذا ..

وأشارت إلى جثة (جو) ..

وانطلقت أجرى .. فتحت باب المكتب المطل على الحديقة .. وأسرعت أجرى .. وأجرى .. وأجرى ..

لا أدرى كم جريت .. كنت أحس بجسد (جو) الدافئ ، وهو مازال ملتصقًا بجسدى .. والدماء الساخنة على وجهى ويدىّ .. وصدرى .. لقد قتلته .. قتلت (جو) .. بل أنا الذى قتلته ..

جلست على الرصيف وأنا لا أدرى أين أنا .. وتذكرت يد (جو) وهى تداعب شعرى وصوته .. وتذكرت منظره وهو يأكل البسكويت بنهم ويقول :

ـ إنك خير مساعد لى يا (لويجى) ..

وتذكرت نكاته واهتمامه وصوته يرن فى أذنى :

ـ « أين كنت يا (لويجى) ؟ » « هل تظن من الحكمة أن يبقى صبى فى سنك ساهرًا حتى هذه الساعة من الليل يا (لويجى) ؟ » افتقدتك يا (لويجى) ..

أنا لم أبك منذ كنت فى الرابعة عشرة من عمرى .. ولكنى كنت أبكى الآن ..

أبكى بالفعل وليس تمثيلاً .. أبكى كالأطفال .. لقد مات الشخص الوحيد المتصف بالإنسانية فى بيت (تيبالدى) .. وأنا الذى قتلته ..

كان الفتى يعتبرنى صديقه ومؤنس وحدته .. أما أنا فتعاملت معه على أنه ليس آدميًا .. أعماتى سعيى لإدانة (تيبالدى) عن واجبى نحو الفتى ..

بما أنى رجل أكبر سنًا وأكثر خبرة .. كان يجب أن أنبهه إلى أن ارتكابه لأى جرم فى الماضى لا يعنى أن عليه أن يخضع لـ (تيبالدى) بقية حياته ..

كان يمكننى أن أجعله يعرف أن بإمكانه أن يصبح شاهدًا فى القضية ضد (تيبالدى) ..

ولكنى تحت اسم الحيطة والحذر استخدمت الفتى كمخلب قط .. لاكتشاف أسرار (تيبالدى) .. ولم أراع بشريته وإنسانيته وصداقته .. حتى مات بسببى وبسبب تلك المجنونة .. أم (لويجى) ..

نظرت أمامى .. ورأيت على بعد مسافة قصيرة .. كابينة تليفون ..

تحسست جيوبى .. كانت هناك عملات صغيرة تصلح للتليفون .. وفتشت بقية جيوبى .. ووجدت ما أبحث عنه .. بطاقة ضابط المباحث الفيدرالية ..

وسمعت صوتًا يقول :

ـ إدارة المباحث الفيدرالية .. من تريد ؟

وأجبتها :

ـ الضابط (ميريت) ..

وسرعان ما سمعت صوتًا يقول :

ـ (ميريت) ..

وقلت بلهفة :

ـ الضابط (ميريت) .. أنا (لويجى) .. هل تذكرنى .. ابن زوجة (كارلو تيبالدى) ..

ورد قائلاً :

ـ نعم .. ماذا هناك ؟

وأجبته :

ـ لقد قتلت أمنى (جو) ..

وسمعت صوته يقول :

ـ ماذا تقول ؟

وكررت حديثى :

ـ لقد قتلت أمى .. (جينا تيبالدى) .. (جو) .. (جوزيف ماتشينى) .. الشاب الذى يساعد (تيبالدى) فى أعمال الكمبيوتر الخاصة به ، والذى أرسل إليكم الخطابات ..

كان (تيبالدى) يجبره على ما يفعله .. والآن سوف تحاول التخلص من الجثة ..

كنت أحس أن شيئًا كالخدر أصبح يسرى فى جسدى .. كانت بداية نوبة ربو عنيفة .. وسمعت صوته يقول :

ـ أهذا مزاح ؟

ورددت بغضب :

ـ وهل أمزح فى شىء كهذا .. لقد قتلته الآن .. أمام عينىّ .. وطلبت منى مساعدتها فى التخلص من الجثة ..

كنت قد أصبحت تقريبًا غير قادر على الحديث من شدة مرضى ..

وضعت المزيد من العملات فى التليفون ، وسمعت صوت تكة على الخط .. وسمعت صوت (ميريت) يقول :

ـ هل لك أن تعيد ما قلته يا (لويجى) ؟

لا بد أنهم قد قاموا بتشغيل جهاز مركب على الخط ..

وقلت :

ـ أنا (لويجى بييرو) .. ابن السيدة (جينا تيبالدى) .. وقد شاهدتها منذ حوالى ربع ساعة تقتل (جوزيف ماتشينى) .. الذى كان (تيبالدى) يجبره على العمل معه .. والذى أرسل إليكم الرسائل .. قتلته بطلقتين من مسدسها الكاتم للصوت ..

كان (تيبالدى) قد حدثها فى التليفون منذ حوالى الساعة .. وبعدها أحضرت المسدس وقتلت (جو) ..

لاشك أن (تيبالدى) قد خاف أن يشهد (جو) ضده .. وطلبت منى مساعدتها فى التخلص من الجثة .. إذا أرادت (جينا تيبالدى) أن تضع الجثة فى سيارة .. فلدينا سيارتان .. سيارة مرسيدس سوداء تحمل لوحات (نيويورك) بأرقام كذا .. وسيارة بيجو حديثة لونها أخضر فاتح تحمل كذلك لوحات (نيويورك) بأرقام كذا .. هل تسمعنى ؟

كانت نوبة الربو على أشدها .. وكان صوت صفير أنفاسى يغطى على الصوت الصادر من أحبالى الصوتية ..وسمعت (ميريت) يقول بقلق :

ـ (لويجى) .. هل أنت بخير ؟ أين أنت يا (لويجى) ؟

وتذكرت (جو) وهو يضحك .. وحاولت السيطرة على نفسى .. وقلت للضابط :

ـ لا عليك .. أنا غير مهم الآن .. أسرع بالتحرك .. يجب أن تقبض عليها قبل أن تتخلص من الجثة ..

كان السواد يجثم على صدرى بشدة ، حتى إنى لم أعد أستطيع أن أتنفس ..

ومن بعيد سمعت صوت سيارة الشرطة ومن خلفها سيارة الإسعاف ..

لم أعرف إن كان الصوت يتجه نحوى أم بعيدًا عنى .. ولكن فى كلتا الحالتين .. كان الأمر قد انتهى ..

إن جسد (لويجى) كان أصلاً من الضعف بمكان .. وبرغم جميع محاولات السيطرة على صحته .. فقد انتهت فترة صلاحية الجسد .. نفذ فيه أمر الله ..

كنت أحس أن هناك شيئًا ينسحب من هذا الجسد .. لم أعد أستطيع أن أتنفس .. لم أعد أستطيع أن أبصر .. ولم أعد أستطيع أن أسمع .. ثم الإظلام التام ..

وفجأة أضيئت الأنوار من حولى .. ونظرت .. الكمبيوتر أمامى مباشرة وقد أظلمت شاشته تمامًا .. ومن خلفه .. إلى الأعلى .. ظهرت آية الكرسى معلقة فى برواز على الجدار ..

كان الكمبيوتر مغلقًا .. وكنت أنا جالسًا على الكرسى فى نفس المكان ، الذى كنت جالسًا فيه قبل دخولى جسد (لويجى) الصغير .. وكان كل شىء كما عهدته ..

كنت أحس بآلام شديدة .. ولكن كان بإمكانى أن أميز أنها ليست جسدية ..

كنت أتنفس بحرية .. لقد عدت إلى جسدى ، وكأن شيئًا لم يكن ..

تُرى هل كان هذا حلمًا طويلاً .. أم ماذا ؟

المشكلة أنى ما زلت أذكر أدق دقائق هذا الحلم .. ولو كانت (نيويورك) كما رأيتها فى منامى .. لاستطعت أن أذهب إلى مدرسة (لويجى) وبيته .. ولو بعد سنين من الآن ..

وأخذت أفكر .. ترى لو كنت قد مررت بهذه المغامرة فعلاً .. أما كان قد مر وقت ؟

ونظرت إلى الساعة .. لا أذكر كم كانت الساعة بالضبط حين دخلت على البرنامج ..

ما هذا الذى حدث لى ؟ لقد دخلت جسد شخص آخر عن طريق هذا الكمبيوتر .. تُرى هل كنت أحلم .. لعله حلم .. خير .. اللهم اجعله خيرًا ..

ترى أكان ما حدث هو الحقيقة .. وما أعيشه الآن هو الحلم ؟ وراعنى هذا الخاطر .. فقمت من مكانى ..

كانت أمى تقف أمام حوض المطبخ تنظف الأطباق والأوانى التى استعملناها فى وجبة الغداء .. أمى العزيزة .. لطالما اعتبرت وجودها شيئًا عاديًا ..

ماذا لو كانت أمى بنفس أخلاق (جينا تيبالدى) ؟

ماذا كنت أنا سأصبح ؟

قاتل أجير .. أم قاتل يرتكب سلسلة جرائم .. أو ربما نزيل إحدى المصحّات العقلية ؟

كانت أمى تقف وظهرها لى .. وأطبقت عليها بيدىَ أحتضنها وأقبلها ..

ونظرت لى أمى مبتسمة وقالت :

ـ ما الذى حدث ؟ أراك فى حالة مزاجية جيدة .. هل حصلت على عمل جديد مهم ؟

وأجبتها :

ـ أهم .. لقد اكتشفت كم أنا محظوظ لكونك أمى ..

وضحكت أمى وربتت على وجهى بيديها وقالت :

ـ بل أنا المحظوظة .. ولكن هل صليت المغرب ؟ لم أرك تغادر غرفتك للوضوء .. أسرع وإلا فاتتك الصلاة ..

وتذكرت .. نعم .. صلاة المغرب .. لقد جلست ألعب على الكمبيوتر ونسيت صلاة المغرب ..

وأسرعت أتوضأ وأصلى .. كنت أحاول التركيز فى صلاتى .. ودعوت اللّه أن يهدينى لما فيه خيرى ..

هل تعرف حين يلح خاطر على رأسك وتحاول التخلص منه دون جدوى ؟

هكذا كان .. ما هذا الذى حدث لى ؟ بالكمبيوتر فعلاً برنامج اسمه البرنامج الكنز .. ولكنى أحسب أنى قد فتحته ثم غفوت أمام الكمبيوتر ..

بعد فترة استيقظ أبى من نومه .. كان أبى يحب أن ألعب معه الطاولة .. ولكنى كنت دائمًا مشغولاً .. لهذا كنت أتهرَّب من لعب الطاولة معه .. أما الآن .. فقد تذكرت (تيبالدى) ..

الحق أن أبى لا يبدو صحيح الجسم (كتيبالدى) ولكنه فعلاً أفضل من ألف (تيبالدى) ..

ونظر أبى .. فإذا بى أجوّل فى الشرفة بدون هدف .. وقال :

ـ توقف عمّا تفعله .. وتعال لاعبنى الطاولة ..

وأسرعت أحضر الطاولة وألحق بأبى ..

الحق أن الحياة الأسرية رائعة .. خاصة عندما يكون للمرء أم وأب كأبى وأمى ..

المشكلة أنى فى كل لحظة أقارن بينى وبين (لويجى) .. كما لو لم يكن الأمر حلمًا ..

ورن جرس التليفون .. ورفعت السماعة أردَّ عليه ..

كان المتحدث هو الحاج (عبد العزيز الشربينى) .. فالساعة الآن العاشرة .. وقد كان موعدى معه فى التاسعة فى مكتبه للقيام بأعمال الحسابات عن اليومين الماضيين ..

وبالطبع .. اعتذرت للرجل .. وواعدته فى اليوم التالى .. لقد نسيت ميعاده تمامًا .. ولكنى تذكرت الآن ..

كنت قد قررت أن ألعب نصف ساعة على الكمبيوتر .. ثم أقوم لصلاة المغرب .. ثم أرتدى ثيابى ؛ لأذهب لمكتب الحاج (عبد العزيز) فى الميعاد ..

هذا معناه أننى لو كنت قد دخلت على الكمبيوتر على البرنامج الكنز .. فقد دخلت جسد (لويجى) .. وقمت بهذه المغامرة التى استغرقت عدة أشهر ..

ربما خلال خمس أو عشر دقائق .. وربما قضيت هذا الوقت فى الدخول على البرنامج .. أى أنه لم يمر وقت بالفعل فيما بين دخولى جسد (لويجى) وخروجى منه ..

هل أكون قد ذهبت إلى كوكب آخر .. ما الذى حدث لى ؟

المهم .. بعد بضعة أيام .. قررت أن الأمر ولابد حلم .. وإن كنت غير مقتنع مائة فى المائة ..

ولكنى لم أغامر بالدخول على البرنامج الكنز مرة أخرى .. فمن يدرى ؟

لم أكن أهتم من قبل بقراءة المجلات الأجنبية .. ولكنى أوصيت باعة الكتب والمجلات القديمة من أصدقائى فى سور الأزبكية بإحضار أى مجلات قديمة خلال الفترة التى دخلت فيها جسد (لويجى) ..

كان ذلك فى اليوم التالى لموعدى مع الحاج (عبد العزيز) ..

ومضى أسبوعان أو ثلاثة .. ونسيت الأمر ..

ولكنى حين ذهبت إلى سور الأزبكية ذكرونى بطلبى السابق ..

كان أحد باعة الكتب القديمة قد أحضر لى مجموعة كبيرة من هذه المجلات ..

وفى إحدى المجلات الاجتماعية الأمريكية .. كان هناك نبأ عن عصابة من الأطفال تسرق المحلات التجارية .. وكانت هناك صورة صغيرة جدًا لأحد هؤلاء الأطفال .. وبرغم أن الصورة فى حجم عقلة الأصبع فى الفهرس الأمامى .. ومشوشة قليلاً .. فلم أصدق عينى .. حتى قلّبت الصفحات .. ووجدتها مكبرة داخل المجلة .. (ماكورميك) .. إنه (ماكورميك) .. أمر لا شك فيه ..

كنت حتى تلك اللحظة أكاد أجزم أننى كنت أحلم .. لكن منذ رأيت صورة (ماكورميك) .. اختلف الأمر تمامًا .. أنا لم أكن أحلم ..

هذا معناه الوحيد أن البرنامج الكنز هو فعلاً آلة للزمن .. ولكنها ليست آلة بالمعنى القديم المستهلك .. بل هى آلة بالمعنى المتطور ..

ويا للحظ السعيد !! فهى لا تكتفى بأن تنقلك إلى زمان آخر ومكان آخر .. بل تنقلك كذلك إلى جسد شخص آخر ..

يبدو أن قدمىَ قد قادتنى دون أن أشعر إلى أحد المساجد .. كان موعد صلاة العصر قد اقترب .. وقد توجهت للمسجد للصلاة .. أما كيف وصلت إلى هذا المسجد البعيد عن سور الأزبكية .. فهذا ما لا أعرفه .. أنا لا أذكر الشوارع التى قطعتها .. أذكر فقط أنى كنت أمشى ..

توجهت للمسجد بشكل غير واعٍ .. ولكن لا أدرى ما الذى جعلنى أجلس على باب المسجد ؟

أنا لم أشعر أصلاً بأنى قد وصلت إلى مسجد ، أو أنى أجلس على باب المسجد .. ولم أتساءل عن سبب مجيئى إلى هذا المسجد البعيد .. إلا عندما شعرت بأحدهم يدس بعض المال فى يدى ..

كان الرجل يهم بدخول المسجد بعد أن وضع المال فى يدى .. حين جذبته من يده وصرخت به مستنكرًا :

ـ ما هذا ؟ هل أبدو لك كمتسول ؟

ونظر لى الرجل بدهشة .. ثم هز رأسه فى نفى قاطع وقال :

ـ كلا .. كلا .. ولكنى رأيتك تحدث نفسك .. وعرفت أنك مكروب .. فأردت أن أساعدك ..

وقلت له :

ـ جزاك اللّه خيرًا .. ولكنى لا أحتاج إلى المال .. أعطه لمن يحتاج إليه .. ووضعت المال فى يده ..

وأخذ الرجل المال وربت على كتفى وقال :

ـ فرّج اللّه كربك يا أخى .. فيبدو أنك تواجه مشكلة عويصة .. هل يمكننى أن أساعدك بشىء ؟

وأجبته :

ـ كلا .. شكرًا .. إنها مسألة معقدة .. ولكنى أحب أن أحتفظ بها لنفسى ..

وأذّن المؤذّن لصلاة العصر .. فدخلنا للصلاة ..

غادرت المسجد .. وقد عقدت العزم على محو برنامج الكمبيوتر .. سأمحو برنامج الكمبيوتر ولو كان هذا آخر شىء أفعله فى حياتى ..

ولكن هذه قصة أخرى ..

★ ★ ★

روايات مصرية للجيب

سلة الروايات

في كل رواية متعة دائمة !!

عبير عبد الرازق

1

البرنامج الفاهض

تجربة مخيفة

لو تركونى هنا لمدة ربع ساعة أخرى فسأموت اختناقًا .. لن يحتاجوا إلى قتلى .. فحسبهم تركى لأموت من تلقاء نفسى .. كان السواد يزحف على عينى ..

وببطء .. كانت حقيبة السيارة تُفتح .. ورأيت أجمل منظر رأيته فى حياتى .. رجل أسود يعتمر خوذة أحد دوريات الشرطة الراكبة .. وقد كُتب عليها NYPD « قسم شرطة نيويورك » ..

كان دخول الأكسجين إلى رأسى فجأة يشعرنى بالدوار الشديد .. ورفعت يدى لمسافة صغيرة .. ثم هوت يدى وأنا أقول فى همس : استدعوا الإسعاف .. أنى أموت ..

الثمن فى ... ٢٠٠
ومايعادل ... ٧١
فى سائر ... والعالم

مطابع سلاح القلم